جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ
ديوانُ الوقفِ الشِيعيّ

مَلَفٌ خَاصٌ
بِأَلْفِيَّةِ حَوْزَةِ النَّجَفِ الْأَشْرَفِ

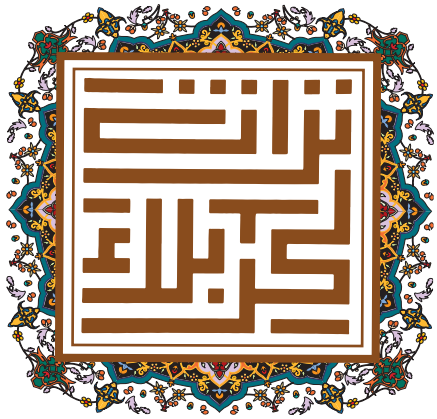

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ
تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:
العتبة العباسيّة المقدّسة
قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة
مركز تراث كربلاء

السنة الثانية عشرة/ المجلَّد الثاني عشر/ العددان الثالث والرابع (٤٥-٤٦)

رجب ١٤٤٧هـ/ كانون الأوّل ٢٠٢٥م

كربلاء المقدَّسة - جمهوريَّة العراق

ردمد: ٢٣١٢-٥٤٨٩

ردمد الإلكتروني: ٢٤١٠-٣٢٩٢

الترقيم الدولي: ٣٢٩٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٩٩٢ لسنة ٢٠١٤

رقم الجوال: ٠٧٧٢٩٢٦١٣٢٧

Web: http://Karbalaheritage.alkafeel.net

E. mail: turAth@AlkAfeel.net

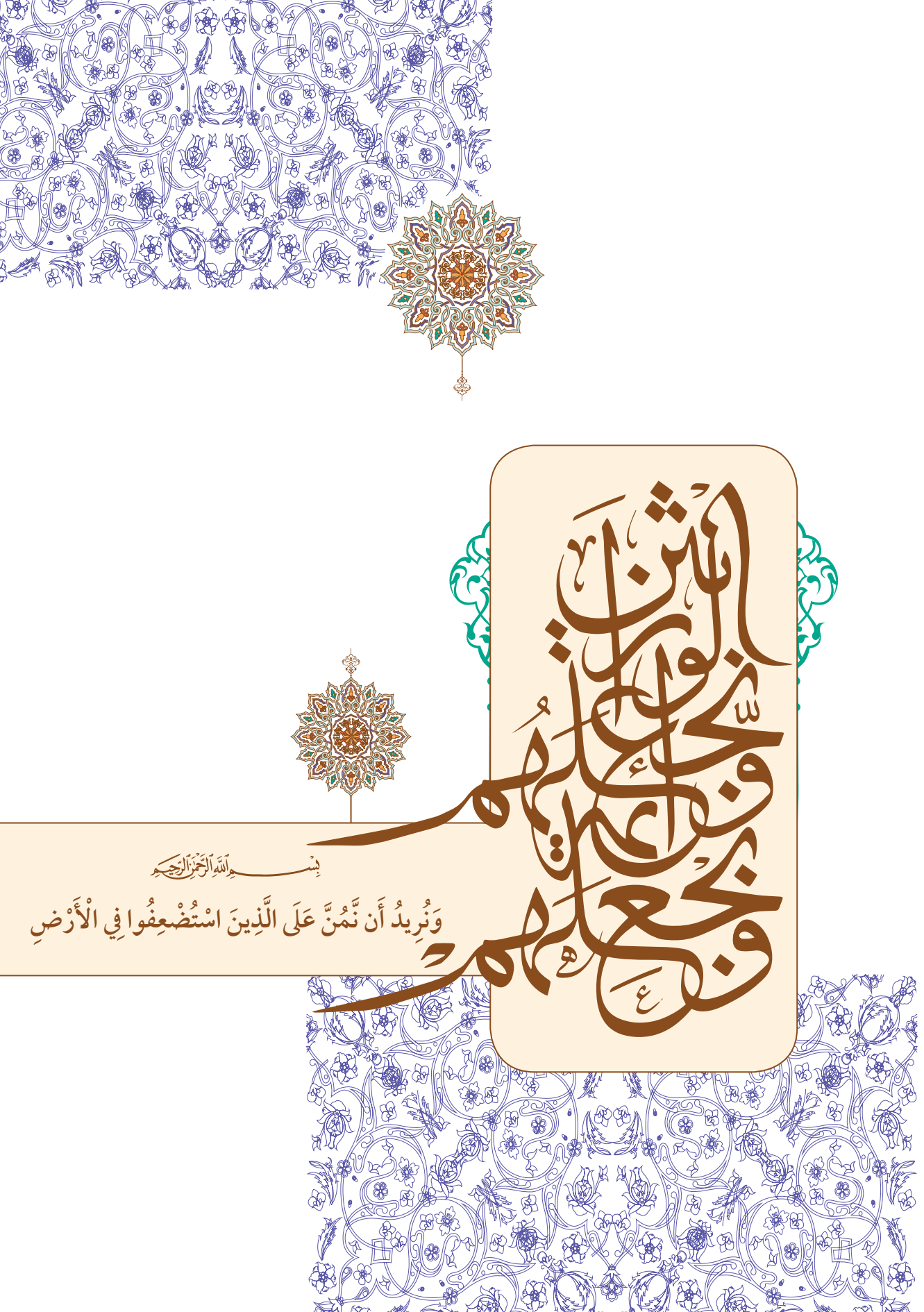
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
ونجعلهم

المشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصافي
المتولي الشرعي للعتبة العباسيّة المقدّسة

المشرف العلمي

الشيخ عمّار الهلالي
رئيس قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيّة المقدسّة

رئيس التحرير

د. إحسان علي سعيد الغريفي (مدير مركز تراث كربلاء)

مدير التحرير

أ. د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء)

سكرتير التحرير

م.د. علي عباس فاضل

مدقق اللغة العربية

أ.د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء)
م.د. حيدر فاضل العزاوي (وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء)

مدقق اللغة الانكليزية

م. م. إباء الدين حسام عباس (جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانيّة)

الإدارة المالية والموقع الإلكتروني

وليد جاسم سعود

الهيأة التحريرية

أ.د. مشتاق عباس معن (كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد)

أ. د. علي خضير حجي (كلية التربية/ جامعة الكوفة)

أ.د. إياد عبد الحسين الخفاجي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ. د. علي كسار الغزالي (كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة)

أ.د. عادل محمَّد زيادة (كلية الآثار/ جامعة القاهرة)

أ.د. حسين حاتمي (كلية الحقوق/ جامعة اسطنبول)

أ.د. تقي عبد الرضا العبدواني (كلية الخليج/ سلطنة عمان)

أ.د. إسماعيل إبراهيم محمَّد الوزير (كلية الشريعة والقانون/ جامعة صنعاء)

أ.د. زين العابدين موسى جعفر (كلية الآداب/ جامعة بغداد)

أ.د. علي طاهر الحلّيّ (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ.د. محمَّد حسين عبود (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.د. حميد جاسم الغرابي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.د. ضرغام كريم كاظم الموسوي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.م.د. فلاح عبد علي سركال (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ.م.د. حيدر عبد الكريم حاجي البناء (جامعة القرآن والحديث/ قم المقدسة)

أ.م.د. محمَّد علي أكبر غفّوري نژاد (كلية الدراسات الشيعية/ جامعة الأديان والمذاهب/ إيران)

م.د. اكسم احمد فياض (جامعة وارث الأنبياء/ كلية العلوم الإسلاميّة)

قواعد النشر في المجلة

تستقبل مجلة تراث كربلاء البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١- يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون على وفق منهجيَّة البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا.

٢- يقدَّم البحث مطبوعًا على ورق A٤، وبنسخ ثلاث مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠) كلمة بخط (simblified ArAbic) على أن ترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا.

٣- تُقبل النصوص المحقَّقة لمخطوطات كربلاء، على أن تكون محقَّقة على وفق المناهج المتعارف عليها، وأن تتضمن مقدّمة تحقيق (دراسة) يذكر فيها الباحث المنهج المعتمد ومواصفات النسخة المعتمدة ومصدرها، ويرفق مع العمل المحقَّق صورة المخطوطة المعتمدة كاملةً، على أن لا يتعَّدى عدد الكلمات ١٨,٠٠٠ كلمة.

٤-تقديم ملخّص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلَّة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخَّص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- يشار إلى المراجع والمصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلميَّة المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن

تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلِّف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة، هذا عند ذكر المرجع أو المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٧- يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٨- تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرة الأولى، وأن يشير فيما إذا كان البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنَّه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١٠-أن لا يكون البحث منشورًا، وليس مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبِّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبَّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنّية.

١٢- تخضع البحوث لتقويم سرَّيّ لبيان صلاحيّتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أَقُبِلَت للنشر أم لم تُقْبَل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ. يُبلَّغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدَّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

جـ. البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحدَّدة، كي يعملوا على إعدادها نهائيًا للنشر.

د. البحوث المرفوضة يُبلَّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ. يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

و. يُمنَح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١٣- يراعى في أسبقيَّة النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسليم البحث لرئيس التحرير.

ج- تاريخ تقديم البحوث التي يتمَّ تعديلها.

د- تنويع مجالات البحوث كلَّما أمكن ذلك.

١٤- ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلة :

(turath@alkafeel.net)

أو على موقع المجلة:

http: / /karbalaheritage.alkafeel.net /

أو موقع رئيس التحرير:

drehsanalguraifi@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقرِّ المجلَّة على العنوان الآتي:

(العراق/ كربلاء المقدسة/ المدينة القديمة/ باب الخان/ مُجَمَّع الإمام الصادق لأقسام العتبة/ الطابق الخامس).

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم: ب ت ٤ / ٩٨١٤
التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٧

No:
Date:

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "مجلة تراث كربلاء" المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية.

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

بسم الله الرحْمٰنِ الرحيم

كلمة العدد

الحمدُ لله الذي شَرَعَ الإسلام، فسَهّل شرائعه لِمن ورده، وأعزَّ أركانه على من غالبه، فجعله أمنًا لمن عَلِقَه، وسِلمًا لمن دخله، وبرهانًا لمن تكلَّم به.

والصلاة والسلام على محمَّد عبده ورسوله، أرسله بالدِّين المشهور، والعِلْم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، وعلى أهل بيته موضع سرِّه، وعَيبة علمه، وموئل حكمته، وكهوف كتبه، وجبال دِينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه.

أما بعد :

فبين أيديكم أيّها الأحبة العددان الخامس والأربعون والسادس والأربعون من السنة الثانية عشرة/ المجلّد الثاني عشر، وقد اشتمل هذا الإصدار المزدوج على ملفٍّ خاصٍّ بألفيّة حوزة النجف الأشرف احتفاءً بها وتثمينًا لدورها العلميّ والفكريّ، وبيان أثره وتأثيره في المجتمع، وتضمّن الملف بحثين، رُتِّبا بناءً على التسلسل الزمني لعلميهما وهما: السيَّد محمَّد مهديّ بن هداية الله الموسويّ المعروف بالشهيد الرابع، والشيخ مرتضى الأنصاريّ، لما لهما من أثر كبير في تراث الحوزتين (النجف وكربلاء)، نسأل الله تعالى أن يجزيهما عن العلم وأهله جزاءً حسنًا.

أمَّا أبحاث العدد الأُخر فتنوَّعت بين السيرة والأدب واللغة؛ إذ تناولت: سيرة الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، وبديعيَّة الشيخ الكفعميّ، ومجالس السيَّد الكركيّ في كتابه تسلية المُجالِس، وكتاب محاسبة النفس اللوَّامة وتنبيه الروح النوَّامة.

أمَّا التحقيق فهو (حاشيتان للشيخ تقيّ الدِّين الكفعميّ ٨٢٣-٩٠٥هـ).

أمَّا بحث اللغة الإنجليزية فتحدَّث عن (الخضوع والإنسانية والسعادة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام).

وستبقى مجلَّة تراث كربلاء إن شاء الله من المجلَّات الرائدة في مجال البحث العلميّ؛ ولاسيّما التراث بشقيه (المطبوع والمخطوط)، وستبقى قلمًا كاشفًا للجهود الكبيرة للأعلام الذين لم يضنّوا بما حباهم الله من معارف وأفكار.

ولابدَّ لإحسان أهل الفضل – وهم الباحثون الكرام– من إحسان ، وأدناه شكر اللسان والبنان، والدعاء لهم كلّ حين وآن.

وحريّ بالذكر أنَّ البابَ مُشرع أمام الجميع لرفد المجلَّة بنتاجات رصينة يخلّدها المكان والزمان خدمة لتراثنا البنّاء.

ويسرّنا أيضا دعوة الباحثين إلى المشاركة في المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث الذي يقام برعاية العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث كربلاء، بعنوان (تراث كربلاء العلميّ في القرن الثاني عشر الهجريّ)، الذي سينعقد يومي الخميس والجمعة ١٣ و١٤ من ذي القعدة ١٤٤٧هـ، الموافق ٣٠ نيسان و ١ آيار ٢٠٢٦م، أمَّا محاوره فعلى النحو الآتي:

علوم القران والتفسير، علوم الحديث والرجال، عِلمَا الفقه وأصوله، علوم المنطق والفلسفة والكلام، التاريخ والسيرة، الفهارس والببلوغرافيا والإجازات، مخطوطات القرن الثاني عشر (دراسة، تحقيق، نقد).

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين .

مدير التحرير

كلمة الهيأة التحريرية

رسالةُ المجلّة

لماذا التراث؟

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الطَّاهرينَ المعصومينَ، أمَّا بعد:

فأصبحَ الحديثُ عن أهمّيّةِ التُّراثِ وضرورةِ العنايةِ بهِ وإحيائهِ ودراستهِ من البديهيَّات التي لا يَحسُنُ إطالةُ الكلامِ فيها؛ فإنَّ الأمّةَ التي لا تُعنى بتراثِها ولا تكرّمُ أسلافَها ولا تدرسُ مآثرَهُم وآثارَهُم لا يُرجى لها مستقبلٌ بينَ الأممِ.

ومن ميّزاتِ تُراثِنا اجتماعُ أمرَين:

أولهما: الغنى والشموليّةُ.

ثانيهما: قلّةُ الدراساتِ التي تُعنى بـه وتبحثُ في مكنوناتِـه وتُبرزه، فإنّه في الوقت الذي نجد باقي الأممِ تبحثُ عن أيّ شـيءٍ مادّيٍّ أو معنويٍّ يرتبطُ بإرثهـا، وتُبرزُه وتُقيـمُ المتاحفَ تمجيدًا وتكريمًا له، وافتخـارًا به، نجدُ أمّتَنا مقصّرةً في هذا المجالِ.

فكم من عالمٍ قضى عمرَه في خدمةِ العلمِ والمجتمعِ لا يكادُ يُعرَفُ اسمُه، فضـلًا عن إحيـاءِ مخطوطاتِه وإبرازِهـا للأجيالِ، إضافة إلى إقامـةِ مؤتمرٍ أو ندوةٍ تدرسُ نظريّاتِه وآراءَه وطروحاته.

لذلـك كلّهِ وانطلاقًا من تعاليـمِ أهلِ البيتِ عليهم السلام التي أمرتنـا بحفظِ التراثِ؛ إذ قـالَ الإمامُ جعفرُ الصادق عليه السلام للمفضّـلِ بنِ عمر: «اكتبْ وبثَّ علمَك في إخوانِك، فإنْ متَّ فأورث كتبَك بنيك»، بادرت الأمانةُ العامّةُ للعتبةِ العبّاسـيّةِ المقدّسـةِ بتأسـيسِ مراكزَ تراثيّـةٍ متخصّصةٍ، منها مركزُ تـراثِ كربلاءَ، الذي

انطلقت منهُ مجلّةُ تراثِ كربلاءَ الفصليّةُ المحكّمةُ، التي سارت بخطىً ثابتةٍ غطّتْ فيها جوانبَ متعدّدة من التراثِ الضخمِ لهذهِ المدينةِ المقدّسةِ بدراساتٍ وأبحاثٍ علميّةٍ رصينةٍ.

لماذا تراثُ كربلاء؟

إنَّ للاهتمامِ والعنايةِ بتراثِ مدينةِ كربلاء المقدّسةِ منطلقينِ أساسيّينِ:

مُنطلَقٌ عامٌّ، يتلخّص بأنّ تراثَ هذهِ المدينةِ شأنُه شأنُ بقيّةِ تراثِنا ما زالَ به حاجةٍ إلى كثيرٍ من الدراساتِ العلميّةِ المتقنةِ التي تُعنى به.

مُنطلَقٌ خاصٌّ، يتعلّق بهذهِ المدينةِ المقدّسةِ، التي أصبحتْ مزارًا بل مقرًّا ومُقامًا لكثيرٍ من محبّي أهلِ البيتِ عليهم السلام، منذُ فاجعةِ الطفِّ واستشهادِ سيِّدِ الشهداءِ سبطِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله الإمامِ أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فكان تأسيسُ هذهِ المدينةِ، وانطلاق حركةٍ علميّةٍ يمكنُ وصفُها بالمتواضعةِ في بداياتِها بسببِ الوضع السياسي القائم آنذاك، ثمّ بدأت تتوسّعُ حتّى القرنِ الثّاني عشرَ الهجريّ؛ إذ صارت قبلةً لطلابِ العلمِ والمعرفةِ وتزعّمتِ الحركةِ العلميّةِ، واستمرّت إلى نهاياتِ القرنِ الرَّابع عشر للهجرةِ؛ إذْ عادت حينذاك حركات الاستهداف السلبيّ لهذه المدينة المعطاء.

فلذلك كلّهِ استحقّت هذه المدينةُ المقدّسةُ مراكزَ ومجلّاتٍ متخصّصةً تبحثُ في تراثِها وتاريخِها وما رشح عنها ونتج منها وجرى عليها عبرَ القرون، وتبرز مكتنزاتِها للعيان.

اهتماماتِ مجلّةِ تراث كربلاء:

إنَّ أفقَ مجلّةِ تراثِ كربلاء المحكّمة يتَّسعُ بسعةِ التراثِ بمكوّناتِه المختلفة، من العلومِ والفنونِ المتنوعة التي عُني بها أعلامُ هذه المدينةِ من فقهٍ وأصولٍ وكلامٍ ورجالٍ وحديثٍ ونحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وحسابٍ وفلكٍ وأدبٍ إلى غيرِ ذلك ممّا لا يسعُ المجالُ لاستقصاء ذكرها، دراسةً وتحقيقًا.

ولمّا كان هناك ترابطٌ أكيدٌ وعلقةٌ تامّة بين العلومِ وتطوّرِها وبين الأحداثِ التأريخيَّةِ من سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ وغيرها، كانت الدراساتِ العلميّةِ التـي تُعنى بتأريخِ هذه المدينةِ ووقائعِها وما جرى عليها من صلبِ اهتماماتِ المجلّةِ أيضًا.

مَنْ هم أعلامُ كربلاء؟

لا يخفى أنّ الضابطةَ في انتسـابِ أيّ شـخصٍ لأيّة مدينةٍ قد اختُلفَ فيها، فمنهـم من جعلَها سـنواتٍ معيّنة إذا قضاها في مدينةٍ مـا عُدّ منها، ومنهم من جعلَ الضابطةَ تدورُ مدارَ الأثرِ العلميّ، أو الأثر والإقامة معًا، وكذلك اختلفَ العُرفُ بحسبِ المدد الزمنيّةِ المختلفةِ، ولمّا كانت كربلاءُ مدينةً علميّةً محجًّا لطـلابِ العلمِ وكانت الهجـرةُ إليها في مددٍ زمنيّةٍ طويلةٍ لم يكن من السـهلِ تحديدُ أسماءِ أعلامِها.

فكانت الضابطة فيمن يدخلون في اهتمام المجلّة هي:

١- أبناءُ هذه المدينةِ الكرام من الأسرِ التي استوطنتها، فأعلامُ هذه الأسر أعلامٌ لمدينةِ كربلاء وإن هاجروا منها.

٢- الأعلامُ الذين أقاموا فيها طلبًا للعلمِ أو للتدريس في مدارسِها وحوزاتِها، على أن تكونَ مدّة إقامتهِم معتدًّا بها.

وهنـا لا بـدّ من التنبيـهِ على أنّ انتسـابَ الأعلامِ لأكثر من مدينةٍ بحسـبِ الولادةِ والنشـأةِ من جهةِ والدراسـة والتعلّم من جهةٍ ثانيـةٍ والإقامة من جهةٍ ثالثـة لَأمرٌ متعارفٌ في تراثِنا، فكم من عالمٍ ينسـبُ نفسـهُ لمدنٍ عدّة، فنجدُه يكتبُ عن نفسِـه مثلًا: (الأصفهانيّ مولدًا والنجفيّ تحصيلًا والحائريّ إقامةً ومدفنًا إن شاء الله).

فمن نافلةِ القولِ هنا أن نقولَ: إنّ عَدّ أحد الأعلامِ من أعلامِ مدينةِ كربلاء لا يعني بأيّةِ حالٍ نفي نسبته إلى مدينته الأصليّةِ.

محاورُ المجلّة:

لّما كانت مجلّةُ تراثِ كربلاءَ مجلّةً تراثيّةً متخصّصةً فإنّها ترحّبُ بالبحوثِ التراثيّةِ جميعها من دراساتٍ، وفهارسَ وببليوغرافيا، وتحقيقِ التراثِ، وتشملُ الموضوعاتِ الآتية:

١ - تاريخُ كربلاء والوقائعُ والأحداثُ التي مرّت بها، وسيرة رجالاتها وأماكنها وما صدر عنها من أقوال ومأثورات وحكايات وحكم، بل كلّ ما يتعلّق بتاريخها الشفاهي والكتابي.

٢- دراسةُ آراء أعلامِ كربلاء ونظرياتِهم الفقهيّة والأصوليّة والرجاليّة وغيرها وصفًا، وتحليلًا، ومقارنةً، وجمعًا، ونقدًا علميًّا.

٣-الدراساتُ الببليوغرافيّة بمختلفِ أنواعِها العامّةِ، والموضوعيّةِ كمؤلّفاتِ أو مخطوطاتِ علماءِ كربلاء في علمٍ أو موضوعٍ معيّنٍ، والمكانيّة كمخطوطاتِهم في مكتبةٍ معيّنةٍ، والشخصيّة كمخطوطاتِ أو مؤلّفاتِ عَلَمٍ من أعلامِ المدينةِ، وسوى ذلك.

٤- دراسة شعر شعراء كربلاء من مختلف الجهات أسلوبًا ولغةً ونصًّا وما إلى ذلك، وجمع أشعار الذين ليس لهم دواوين شعرية مجموعة.

٥- تحقيق المخطوطات الكربلائية.

وآخرُ المطافِ دعوةٌ للباحثينَ لرفدِ المجلّةِ بكتاباتِهم، فلا تتحقّقُ الأهدافُ إلّا باجتماعِ الجهودِ العلميّةِ وتكاتفِها لإبرازِ التراثِ ودراستِه.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الطاهرينَ المعصومين.

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٥	الفَقيهُ السيّد محمَّد مهديّ بن هِدايةِ الله المُوسَويُّ الأصفهانيُّ المعروف بالشهيد الرابع (١١٥٢-١٢١٨هـ) -حياته وآثاره العلميّة-	الشيخ جعفر إسلامي الحوزة العلمية في النجف الأشرف
١١٣	لَمحاتٌ إلى حياةِ الشَّيخِ مُرتَضى الأنصاريّ وَأحدَاثِ عَصرِهِ فِي كَربَلاء	م. م. أَحمَد باسم حَسَن جَامِعَة كَربَلاء/ مَركَز التعليم المستمر
١٥٥	الشَّيخُ محمَّد بَاقِر المحمُودِيُّ سِيرَتُهُ وَجُهُودُهُ المعرِفِيَّةُ	الدكتور سلمان هادي آل طعمة
١٧٩	بديعيّة الشيخ الكفعميّ نُور حَدَقَة البديع ونَوْر حديقة الربيع تعريف بالمخطوط وقيمته العلميّة	م.م.عبد الله عبد اللطيف الحمر جامعة الكويت

٢٢١	البِنَـاءُ الهَيكَلـيُّ لِمَجَالِـسِ السـيِّد الكَرَكِيِّ فِي كِتَابِهِ تَسلِيَةِ الـمُجَالِسِ	م.د. رازقيّة كاظم عبد المديريّة العامّة للتربية في كربلاء المقدّسة
٢٥١	الأسلوبيَّة الصوتيَّة في كتاب (محاسبة النَّفس اللَّوامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة) للشيخ تقيِّ الدِّين الكفعميِّ (ت ٩٠٥هـ)	م. د. وفاء مسعود عزيز جامعة ديالى/ كليَّة التربية الأساسيَّة

تحقيق التراث

٢٩٥	حاشيتان للشـيخ تقيِّ الدِّين إبراهيم الكفعميّ (٨٢٣-٩٠٥هـ) على كتابَي إرشادِ الأذهانِ إلى أحكامِ الإيمانِ و الدُّروسِ الشرعيّةِ في فقهِ الإماميّةِ	تحقيق السيّد حسين الموسويّ البروجرديّ قم المقدّسة

27	Submission, Humanity and Happiness: An Integrated Model in Ethical Life Based on Chris Hewer's Meta-Hi to-rical Interpretation of Imam Hussain's Movement	Dr. Seyed Mohammad Hossein MirMohammadi, Assistan Professor of Moral Psychology, Monarch University Switzerland

الأسلوبيَّة الصوتيَّة في كتاب (محاسبة النَّفس اللَّوامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة)

للشيخ تقيِّ الدِّين الكفعميِّ (ت ٩٠٥هـ)

Phonostylistics in the Book (Muḥāsabat al-Nafs al-Lawwāmah wa Tanbīh al-Rūḥ al-Nawwāmah) by Shaykh Taqī al-Dīn al-Kafʿamī (d. 905 AH)

م. د. وفاء مسعود عزيز

جامعة ديالى/ كليَّة التربية الأساسيَّة

Asst. Dr. Wafā' Masʿūd ʿAzīz

University of Dyala / College Of Basic Education

الملخَّص

اللغـة العربيَّة هي لغة القـرآن الكريم، وهذا ما منحها التنوُّع في أسـاليبها ومسـتوياتها المتعدِّدة، وقد كان لنا الشـرف أن نبحث في هـذه اللغة وننتمي إليها، ولم نجد بُدًّا من اختيار أسـلوبٍ يتناسـب وطبيعة المادة التي سـننتقيها للدراسـة وهو الأسـلوب الصوتي، ولمَّا كان أعلامُ كربلاء في حقبٍ متعاقبةٍ قد خدموا وأغنوا هذه اللغة بمصادرهم فقد وقع الاختيار على مؤلَّفٍ لعالمنا المعروف بالشيخ العارف تقيّ الدِّين بن عليّ الكفعميّ من أعلام القرن العاشر الهجريّ، وتحديدًا كتاب (محاسـبة النَّفس اللَّوامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة) ؛ لما فيه من قِيَم تخدم الدِّين الإسـلاميّ من جهة، واللغـة العربيَّة من جهةٍ أخرى، وكان الأسـلوب الصوتـيُّ هـو صاحب الحـظِّ الأوفر في هـذا الكتاب، وقد اعتمدناه ؛ لما في الكتاب من سـجعٍ وتكرارٍ وجناس، وغير ذلك من القضايا الصوتيَّة التي سيكشفها البحث.

الكلمات المفتاحية: الكفعميّ، محاسبة النفس، الأسلوبيّة الصوتيّة.

Abstract

The Arabic language is the language of the holy Qur'an، and this is the source of the diversity in its styles and levels. We have the honor to be a native speaker of the language and to study it. Significantly، various scholars have served and enrich this language with their compilations. Therefore، to study the phonetic style، we had to choose a book by the well-known Sheikh Taqi al-Din bin Ali al-Kaf'ami، one of the prominent figures of the tenth century AH، specifically his book entitled (Holding the blaming self-accountable and alerting the dormant soul). On one hand، the book contains values that serve the Islamic religion، and on the other، it servers the Arabic language and specifically the phonetic style. Therefore، we adopted it because of the phonetic issues found in the book like rhyme، repetition and alliteration and other issues to be revealed.

Keywords: Al-Kafami, self-reflection, phonetics.

المقدِّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرف الخلق والمرسلين نبيِّنا محمَّد، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين إلى يومِ الدِّين وسلَّم تسليمًا كثيرًا...

أمَّا بعد فإنَّ اللغة العربيَّة قد سُخِّرت لخدمة القرآن الكريم، وهو أعلى مستويات الفصاحة وأبهر صور هذه اللغة، وقد استمدَّت قدسيَّتها منه، ولذا انبرى العلماء لخدمة اللغة خدمةً للقرآن الكريم، وظهرت أساليبهم اللغويَّة في مؤلَّفاتهم، ونحنُ إذ نقف عندَ حلقة تاريخيَّة مهمَّة تخصُّ حَرَاك أعلام كربلاء في القرن العاشر الهجريّ، لم نجد بُدًّا أن نختارَ من بينهم علمًا وعارفًا كبيرًا هو الشيخ تقيّ الدِّين بن عليّ الكفعميّ (ت ٩٠٥هـ) الذي برزت نتاجاته، وكانت تتكلَّم عنه دون الحاجة إلى التعرُّف إليه عن كثب، وقد وقع اختيارنا على مؤلَّف يوثِّق الرابط بيننا وبين الله تعالى ؛ لتثبيت النَّفس من جهة، ومنح فرصة للآخرين لمراجعة أنفسهم من جهةٍ أخرى، وهو كتاب (محاسبة النَّفس اللَّوامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة).

وكانت مادَّة الكتاب مادَّة مُثرية؛ لما فيها من أنماط جميلة وأنساق متَّحدة تارةً ومتباينة تارةً أخرى ؛ وقد غلب الأسلوب الصوتيّ فيها على بقيَّة أساليب اللغة العربيَّة؛ لما فيه من تحفيز للنَّفس بإيقاعاته وموسيقاه، وكلُّ متصفِّحٍ لهذا الكتاب يجدُ فيه اختلافًا عن بقيَّة الكُتُب الدِّينيَّة، فنصوصه ليست عبارة عن نصوص سرديَّة تتحدَّث مع النفس، وإنَّما كانت تحمل توازنًا وإيقاعًا خاصًّا ومتشابهات أقرب ما تكون إلى كتب الأدعية التي تنماز بتحفيز النفس وجذبها إلى القراءة بأسلوب جميل ومتَّسق وبأفصح كلمات اللغة العربيَّة، ولذا ومن قبيل المزاوجة بين خدمة الدِّين الحنيف وخدمة اللغة العربيَّة استوى لدينا

العنوان موسومًا بـ(الأسلوبيَّة الصوتيَّة في كتاب محاسبة النَّفس اللَّوامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة للشيخ تقيّ الدِّين الكفعميّ، ت ٩٠٥هـ) .

ولا يمكن أن نتجاوزَ الحديث عن صعوبة البحث والتنقيب في هذا الكتاب الذي تجاوزَ عدد صفحاته (١٨٠ صفحة)، ولا سيَّما أنَّ القضايا الصوتيَّة ستُنتَخب انتخابًا تبعًا لحصيلة الجرد فيه، وستؤخذ من صفحات متعدِّدة من الكتاب من البداية إلى النهاية، فضلًا عن كونِهِ من النثر، والنثر لا يرتقي في غالبيَّته إلى الشعر في اهتمام الباحثين بقضاياه الصوتيَّة، لكنَّ كلمات المؤلِّف كان لها وقعٌ خاصٌّ في موسيقاها، وكانت تبعث في القلب الجدَّة والقوَّة والطمأنينة لإكمال ما بدأنا.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الكتاب تضمَّن مقطوعاتٍ شعريَّة في مواضع متعدِّدة لكنَّنا لم نتناولها في البحث على الرَّغم من تقصِّيها ؛ ذلك لأنَّها لا تمثِّل من وجهة نظري أسلوب الباحث، بل لربَّما تمثِّل شخصيَّته واختياراته ؛ لأنَّها لم تُنسب إلى قائل، وهي ليست لهُ لأنَّ بعضًا منها منسوبًا إلى غيره كما تتبَّعت، كشعرٍ يُنسب للإمام عليّ عليه السلام(١)، وأبيات تخصُّ الشافعيّ(٢).

وقد تنوَّعت المصادر والمراجع التي أسهمت في إغناء البحث بين ما هو صوتيٌّ أو بلاغيٌّ أو لغويٌّ أو غير ذلك، لكن يمكن ترجيح المهمِّ منها، كالكتاب لسيبويه، والرعاية لمكِّي القيسيّ، والأسلوبيَّة الصوتيَّة في شعر أدونيس لأستاذي الدكتور عادل نذير، ونظريَّة القوَّة الإيقاعيَّة في الخطاب اللغويِّ للدكتور حازم عليٍّ كمال الدِّين، إلى غير ذلك ممَّا خدم البحث،

(١) ينظر: ديوان الإمام علي: ٥٤، ومحاسبة النفس اللوَّامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة: ١٤٠ – ١٤١.

(٢) ينظر: ديوان الشافعي: ٩١، ومحاسبة النفس اللوَّامة: ١٦٤.

أمَّـا مفاصل البحث فقد توزَّعت بين المقدِّمـة والتعريف بالمؤلِّف والكتاب، والتعريف بالأسـلوبيَّة الصوتيَّة، وموضوعات الأسـلوبيَّة الصوتيَّة المتنوّعة، وهي: السـجع والتكـرار والجناس والتـوازي أو التكافـؤ، وخُتمت بخاتمة لأهـم نتائج هذا البحث، ثمَّ قائمة بالمصـادر والمراجع التي نهلنا منها، علمًا أنَّ هذه التقسيمات قد اعتمدنا فيها ما توافر لدينا بعد الجرد وتفحُّص نصوص الكتاب.

وفي الختام لا يسـعني إلَّا أن أُعرِّجَ بالسـلام والتحيَّة لكُلِّ مارٍّ شـغوف بهذه اللغـة، وبالعلمِ والعلماء، وكُلِّ مهتمٍّ بتهذيبِ هذه النَّفس التي لا يُكبحُ جماحها بسـهولة، سـائلة المولى القدير أن يمُنَّ عليَّ بالقبول، وأن أكونَ قد نبَّهتُ نفسي أولًا وغيري ثانية من الغفلة ومن تناسي هذا العدو اللدود وهي النَّفس التي قال تعالى فيها: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْـوِسُ بِهِ نَفْسُـهُ﴾[٢]، وأدعو الحقَّ تعالى أن نكونَ ممَّن قال فيهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣].

... ومن الله التوفيق...

التعريف بالمؤلف:

وهو الشـيخ العالم الباذل الورع الأمين والثقـة الأديب تقيّ الدِّين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمَّد بن صالح بن إسماعيل الحارثيّ العامليّ الشهير بالكفعميِّ، ولد سـنة (٨٤٠هـ)، و(كفعم) على وزن (زمـزم) قرية من قرى

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) سورة ق: ١٦.

(٣) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

جبل عامل، ونُقِلَ عن شيخنا البهائيّ العامليّ رحمه الله أنَّ الكفَّ على لغة جبل عامل بمعنى القرية، وعيما اسم لقرية هناك، وأصلهما (كف عيما) أي قرية عيما، والنسبة إليهما (كفيعماويّ) فحُذِفَ ما حُذِفَ لشدَّة الامتزاج وكثرة الاستعمال فصار كفعميّ.

ولهُ كُتبٌ وأشعار وتصانيف أبكار، ومن أحسنها وضعًا وترتيبًا وأجودها جمعًا وتهذيبًا كتاب (جُنَّة الأمان الواقية وجَنَّة الإيمان الباقية) المشهور بالمصباح، وألَّف قبله كتابه الكبير المسمَّى بـ(البلد الأمين والدرع الحصين)، وضمَّنه مضافًا إلى ما تضمَّن من الأدعية والعِوَذ والأحراز والزيارات والسُّنَن والآداب جميع أدعية الصحيفة وشرحها المسمَّى بالفوائد الطريفة، ورسالة المقام الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، ورسالة في محاسبة النفس، وله كتب ورسائل كثيرة في فنون مختلفة أيضًا، منها كتاب بعنوان (محاسبة النَّفس اللوَّامة وتنبيه الروح النوَّامة) وهو ما اعتمدناه في الدراسة، وقد أقام مدَّةً في كربلاء ثمَّ عاد إلى قريته في جبل عامل وتوفي فيها سنة (٩٠٥هـ)، وتاريخ ولادته ووفاته أقرب إلى الحدس منه إلى الحس، ذلك أنَّه ليس هناك تحديدٌ دقيق لكليهما [١].

التعريف بالكتاب:

عنوان الكتاب هو (محاسبة النَّفس اللَّوامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة) مؤلِّفُهُ هو الشيخ تقيّ الدِّين إبراهيم بن عليّ الكفعميّ كما أشرنا، من أعلام القرن

(١) ينظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٠ – ٢١، وأعيان الشيعة: ٢/ ١٨٤، ١٨٦.

العاشر الهجريّ، ألَّفه متأثِّرًا بمن سبقه، ولا سيَّما ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام في أدعيتهم كدعاء الجوشن الكبير ودعاء الصباح وغيرها كثير، وممَّن سار على نهجه الشيخ النوري الطبرسيّ (ت ١٣٣٠هـ) في كتابه (دار السلام) [١]، الذي قال فيه مخاطبًا نفسه: «ويحكِ يا نفسُ إن كنتِ قد حُرِمتِ عن النظرةِ إلى تلك الطلعة الرشيدة والغُرَّةَ الحميدة، ومُنِعتِ عن الاقتباس من أنوار علومه الإلهيَّة وحكمته المحمَّديَّة، بمرءٍ[٢] من الناس ومسمعٍ منهم، ومحضرٍ من الخلق ومشهدٍ لهم... فَابْكِ طويلًا فقد عظُمَ المُصاب وطالَ العذاب، وإلى الله المشتكى من اتِّصال الغفلة وسوء المآب»[٣]؛ وتأثير هذا الأسلوب في النفوس هو ما حدا بأهل البيت عليهم السلام إلى اختياره، ليُثبِّتوا لنا كلامًا نستعين به في مناجاتنا ومحاسبتنا لأنفسنا، وهو ما حدا بعالمنا ومن تبعه إلى السير على هذه الخطى في مؤلَّفاتهم.

وقد «أخذ هذه الطريقة وانتهجها؛ لما فيها من الأثر الوضعيّ في القلب، وتقوية الروح، فجعل كتابه مخاطبةً للنَّفس وتنبيهًا لها، فالكتاب حوار بين القوة العقلائيَّة والقوة الشهوانيَّة، بين القلب والهوى، بين الروح الطاهرة والنفس الأمَّارة. فعلى كلِّ من يريد الوصول إلى الحقِّ والحقيقة والجمال الروحيّ أن يحاسبَ نفسَهُ الأمَّارة ويخاطِبُها بهذه العبارات حتَّى يصرعها ويجعلها خاضعة إلى القوَّة العقلائيَّة، ويجعلها مسيَّرة لا مسيِّرة، فحينئذٍ يشملُها الخطاب الربَّاني: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً

---

(١) ينظر: دار السلام فيما يتعلَّق بالرؤيا والمنام: ٤/ ٩٧ - ١٠٠، ومحاسبة النَّفس اللوَّامة: ١٣ - ١٥.

(٢) الصواب (بمرأىً).

(٣) دار السلام: ٤/ ١٠٠.

مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1]»[2].

ويمكن للمتتبِّع لهذا الكتاب والمستقرئ بدقَّة أن يلاحظ ما ذكره المحقِّق في طريقة كتابته ؛ فقد جمع المؤلف «آيات التحذير والترغيب وغيرها، ونسجها نسجًا لطيفًا يؤثِّر في قلب القارئ، واقتبس من بعض الآيات عبارات زادت الكتاب كمالًا، وأورد الأحاديث الواردة عن النبيّ وآله عليهم السلام من التحذير والترغيب والمواعظ والأوامر والنواهي، وجعلها على نسقٍ جميل من دون الإشارة إلى ذكر الحديث إلَّا قليلًا، وضمَّن كتابه الحكم والأمثال، واللطائف والآثار، والعبارات الأدبيَّة والأشعار اللطيفة التي تناسب المقام»[3]، وهذا كُلُّه جذب النظر إليه ؛ فضلًا عمَّا فيه من أنساق متشابهة وألفاظ مكرَّرة وإيقاعات صوتيَّة متَّسقة كانت المادَّة الخام التي نهلنا منها لإنجاز هذا البحث.

الأسلوبيَّة الصوتيَّة:

تُعرَّف الأسلوبيَّة الصوتيَّة بأنَّها: علمٌ ينتمي إلى الفونولوجيا، ويدرس من العناصر الصوتيَّة في لغة الإنسان تلك التي تحمل وظيفتَيْن: الوظيفة الانفعاليَّة والوظيفة الندائيَّة، التي لا تدخل في نظام اللغة وقواعدها، وهذه العناصر الصوتيَّة تتمثل في طريقة التلفُّظ وموضع النطق والنبرة وحدَّة الصوت، وكل ما يسمح للسامع أن يكوِّن فكرة عن المتكلِّم – بغض النظر عن معنى ما يقوله – كأصله الاجتماعيِّ ومنشئِه الجغرافيِّ، ودرجة ثقافته أو

(١) سورة الفجر: ٢٧-٣٠.

(٢) محاسبة النفس اللوَّامة: ١٥ – ١٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩ – ٣٠.

جنسيَّته [١]، وهناك من يصطلح عليه بـ(علم الجمال الصوتيّ)، ويرى أنَّ هذا العلم يهتمُّ بالجانب الصوتيّ والفونولوجيّ في النصوص الجميلة؛ إذ يساعد في كشف التوظيف الصوتيّ لتجسيد الخيال وتحقيق الصورة، ويندرج في ضمنه دراسة أبعاد التكرار والتقابل والتوازي في مستوى الأصوات المفردة ومستوى السياق الصوتيّ تتابعًا وتطريزًا [٢].

وبهذا الاعتبار يمكن لنا فعلًا أن ننظر إليه على أساس ما يضفيه الصوت منفردًا أو مركَّبًا؛ لأنَّ السياق الصوتيَّ يفرز النوعَيْن، وهو يحمل إلينا نسقًا موسيقيًّا نستطيع به التمييز بين ما يمكن الاستماع إليه بشكلٍ عابر، وما نستمع إليه بانجذابٍ واضح لا يختلف عليه اثنان.

أولًا: السجع:

وهو « اتِّفاق اللفظ في آخر الجُمَل بالحرف الواحد»[٣]، وهو خاص بالنثر كما أنَّ القافية خاصَّة بالشِّعر، «واعلم أنَّ الأصل في السجع إنَّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع»[٤].

يتمثَّل السجع بمجموعة الأصوات التي تنتهي بها الجُمَل في النصِّ، وعن طريق تتبُّع النهايات في الكتاب نجدها تأخُذُ أبعادًا متنوِّعة ؛ فتارةً تقف

(١) ينظر: المعجم المفصّل في اللغة والأدب: ١/ ٦٢٣، والأسلوبيَّة الصوتيَّة في شعر أدونيس: ٣٣.

(٢) ينظر: الأسلوبيَّة الصوتيَّة في شعر أدونيس: ١٥.

(٣) الرسائل الأدبيَّة: ٢٤٣.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ١٩٧.

الجمل في النص على حرفٍ واحد، أو حرفَيْن متشابهَيْن أو أكثر، وتارةً أخرى تنتهي بحروفٍ متنوِّعة مكرَّرة، لكنَّها ليست ببعيدةٍ عنها من جهة الصفات العامة، وهذا التشابه أو التقارب خلقَ موسيقاه الخاصَّة التي تُغدِق المعاني بانسيابيَّة خاصَّة ؛ لأنَّ « الشعور باللَّذة الصوتيَّة يؤدِّي إلى سرعة تثبيت هيكل النصِّ لفظًا ومعنى في ذاكرة المتلقي»[1]، ولمَّا كان الجناس حدُّه التماثل فإنَّنا سنعرض للتماثل فقط، وبتنوِّعاته التي وردت في الكتاب.

١. **السجع في الحرف الواحد:**

تعدَّدت الأصوات في نهايات الجُمَل، وغلب بعضٌ منها على غيرها ؛ نحو صوت الألف المقصورة والممدودة، والهاء، والتاء المربوطة والتاء المفتوحة، والنون والميم، والكاف والياء واللام، وتغلغلت بقيَّة الأصوات في ضمنها؛ منها الراء والدال والقاف، إلى غيرِ ذلك من أصوات العربيَّة، ونقصد بهذا التعدُّد أنَّ نصوص المؤلِّف في غالبيَّتها تقف في النصِّ الواحد على حرفَيْن وثلاثة بل أكثر على النحو الذي قدَّمنا، وإن تكرَّر الحرف نفسه، يعني تتنقَّل بين تكرار النون مثلًا، ثمَّ تكرار اللام، ثمَّ الميم، وهكذا.

وهناك ما تكرَّر منها مع اختلاف الحرف الذي يسبقه بين كلِّ نهايتَيْن، من ذلك قول صاحب الكتاب: « فالحازمُ من جاد بما في يدِه، ولم يؤخِّر عملَ يومِهِ إلى غدِه، والكيِّس من كانَ يومُهُ خيرًا من أمسِه، وعقلَ الذمَّ عن نفسه. والشقيُّ من اغترَّ بحاله، وانخدعَ لغرورِ آمالِه»[2]، فالناظر إلى النصِّ يجد أنَّه قد تكرَّر صوت الهاء، على حين يختلف الصوت الذي قبله في كُلِّ نهايتَيْن

(١) نظريَّة القوة الإيقاعيَّة في الخطاب اللغويّ: ٢٣.

(٢) محاسبة النفس اللوَّامة: ٥٢.

متنقِّـلًا بين (الدال، والسـين، واللام)، وهذه التنقـلات أو أيّ هيكلة مختلفة لصياغة النصِّ تضفي حلَّةً جديدة تُلبِس النَّص لبوسًا جديدًا.

وإذا تقصَّينـا صـوت الهاء نلاحظ أنَّه صوت متميِّز، ولا سـيَّما في مواضع الوقف لما يمتلكه من صفات؛ فهو من الأصوات المهموسة [١]، والرخوة[٢]، وهـو من الأصوات الخفيَّة التي تنمـاز بأنَّها تُخفى في اللفظ إذا اندرجت بعدَ حـرفٍ قبلها [٣]، وبهذا الوصف تقترب من أصـوات اللِّين، وهو ما ذهب إليه أبو عليّ الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ) في قوله: «وإنَّما وافقت الهاء حروف اللين في هذا لما فيها من الخفاء»[٤]، وتنماز الهاء أيضًا بسـعة المخرج، وهو ما يؤكِّدُهُ قول الدكتور محمود السعران: «والهاء العربيّ يتكوَّن عندما يتَّخِذ الفم الوضع الصالـح لنُطقِ صـوت صائت (كالفتحة مثـلًا) ويمر الهواء خـلال الانفراج الواسـع الناتج عن تباعد الوترَيْن الصوتيَيْن بالحنجرة مُحدِثًا صوتًا احتكاكيًّا؛ يرفع الحنك اللَّيِّن ولا يتذبذب الوتران الصوتيَّان »[٥]، وقد عبَّر الدكتور حسن الأسـديّ عن صفة الخفاء في الهاء بأنَّها «صفة ذاتيَّـة محضة»[٦]، ولعلَّ ذلك مُسـتمَدٌّ من صفة الهمس التـي يمتلكها صوت الهاء إذا أخذنا بالحسـبان أنَّ

(١) ينظـر: الكتـاب: ٤/ ٤٣٤، والأصول في النحو: ٣/ ٤٠٢، وسـرُّ صناعة الإعراب: ١/ ٦٠.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

(٣) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ١٢٧، والتمهيد في علم التجويد: ١٠٣.

(٤) التعليقة على كتاب سيبويه: ٣/ ١٩٢.

(٥) علـم اللغـة (مقدّمـة للقـارئ العربـيّ): ١٧٨ – ١٧٩، وينظـر: علـم اللغـة العـامّ (الأصوات): ١٢٢.

(٦) الدرس الصوتيّ عند الرضي: ٢٨.

معنى الهمس على وفق ما يذكرُهُ الأخير «ضعف الصوت والإخفاء»[1].

وهذه الصفات التي انمازت بها الهاء كُلُّها أوصاف تمنحها الخفَّة التي تتنوَّع معها طريقة النُّطق وفقًا للصوت الذي يسبقها، وهو مبرِّر جيِّد يدعو المؤلِّف ومعرفته به للتنويع، وهذا ما نبحث عنه، فهو أشبه بالإيقاع، والإيقاع عبارة عن قفزات سُلَّميَّة ذات نغمٍ أصيل، أي وحداته المجتمعة تصلُ إلى الأذن بجمالٍ أخَّاذ، «فالنَّص الذي يتَّسم بوضوح المعنى، إذا توافرت فيه عناصر الإيقاع المناسبة لسياقه، يُعَدُّ نصًّا جميلًا، وهذا الجمال يُدرِك المتلقي لذَّتَهُ عن طريق أذنه»[2]، وهذا التنويع والخفَّة التي نشهدها في الهاء يحاكي وقع النَّص في النفس ويجذبها إلى المعاني المستبطنة فيه ويأخذها إلى الاستماع بالعقل والقلب والأذن والعين معًا؛ أي تتضافر الحواس جميعها لكي تتلقَّى المعاني ما بين معرفة الحازم حقيقةً الذي يجود بما في يده، وكيف لا يؤخِّر عمل يومِه إلى غدِه، ومعنى الكيِّس الذي أفاد من الدُّنيا وجعلها تجارةً له فلم يغبن حقَّ هذه النفس حين جعل يومه أفضل من أمسه، فلم يتساوى يوماه، ولم يترك ثغرةً يستحقُّ عليها الذم، فعقل الذمَّ عن نفسه، ثمَّ انتقلَ إلى وصف الشقي الذي غرَّته الدنيا ووقع ضحيَّةً لآمالها الخدَّاعة، وبهذه الأوصاف يمكننا التنبُّه إلى ما فيه خير فنتبعه، وما هو شر فنحيد عنه ونبتعد.

٢. السجع في الحرفَيْن:

والقصد منه أن يتكرَّر الحرفان الأخيران في نهايات الجُمَل، وليس الحرف الواحد فقط، وصراحة في الكتاب ما يُبهِر في الأسلوب الذي قدَّم فيه بعض

(١) الدرس الصوتيّ عند الرضي: ٢٧.

(٢) نظرية القوَّة الإيقاعيّة في الخطاب اللغويّ: ٢٢.

النصوص وكان في متواليات تطـول لتتجاوز النص والنصَّيْن، جاء في كتاب محاسـبة النفس: «يا نفسُ: الحرصُ أحدُ الشقائين[١]، والبخلُ أحدُ الفقرَيْن، والحسدُ ألأمُ الرذيلتَيْن، والطمعُ أحدُ الذلَّيْن، والجورُ أحدُ المُردِيَيْن، والشهوةُ أحدُ المُغوِيَين، والخُلُقُ السّـيئُ أحدُ العذابَيْن، والهوى أحدُ العدوَّيْن، والغدرُ أقبحُ الجنايتَيْن، والنساءُ أعظمُ الفتنتَيْن»[٢]، ثمَّ يليه أربعة نصوص على الوتيرة نفسـها ينتهي آخرُها بقوله: «... القرضُ أحـدُ الهبتَيْن، النظافةُ أحدُ الحليتَيْن، الدَّهـرُ أنصحُ المؤدِّبَيْن، المشـيبُ أحـدُ القطيعتَيْن، المصيبـةُ بالصبرِ إحدى المصيبتَيْن، والمصيبةُ واحدةٌ فإنْ جزعتِ فهي اثنتَيْن[٣]»[٤].

ينكشـف لمتابـع النَّصَّيْـن أنَّهما ينتهيـان بحرفَيْن متشـابهَيْن لـكلِّ نهاية، وكذلـك بقيَّة النصوص الواقعة بينهما، وهما (الياء والنون) اللذان يُعبِّران هنا عـن علامة التثنية، وهذه التشـكيلة الثنائيَّة في الحرف والمعنى خلقت للنصِّ جوًّا صوتيًّا ومعنويًّا ؛ لأنَّ السـجع يعطي « مناسبة بين الألفاظ يُحسِّنها ويُظهِر آثـار الصنعة لولا ذلك لم يكنْ فـي كلام الله تعالى وكلام النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسـلَّم والفصيح من كلام العرب، وكما أنَّ الشـعر يحسُـن بتسـاوي قوافيه، كذلك النثر يحسُن بتماثل الحروف في فصوله»[٥].

إذن هـذه الحـروف تزيـد من حُسـن الـكلام، وهذا الحُسـن تـارةً يظهر

(١) الصواب (الشقاءين).

(٢) محاسبة النفس اللوَّامة: ٨١.

(٣) الصواب (اثنتان).

(٤) محاسـبة النفس اللوَّامة: ٨٣، وهناك تكرار مشـابه لحرفي (الألف والميم) في ثلاثة نصوص، ينظر: محاسبة النفس اللوَّامة: ١٢٥ – ١٢٧.

(٥) سرُّ الفصاحة: ١٧١.

بالتساوي والتماثل وتارةً أخرى يظهر في تعادل الجُمَل، فهناك قليلٌ منها لم يظهر به، والغالب ما ضُمِّن فيه على نحو ما في «الحرصُ أحدُ الشقاءَيْن، والبخلُ أحدُ الفقرَيْن، والطمعُ أحدُ الذلَّيْن، والجورُ أحدُ المُردِيَيْن، والشهوةُ أحدُ المُغوِيَيْن... والهوى أحدُ العدوَّيْن وكذلك ما جاء في قوله: «القرضُ أحدُ الهبتَيْن، النظافةُ أحدُ الحليتَيْن... المشيبُ أحدُ القطيعتَيْن، فهذه الجمل تعادلت فيما بينها؛ إذ تكوَّنت من:

[المبتدأ + الخبر (أحدُ) + المضاف إليهِ المفرد + (ين)]

وهذا التعادل مضافًا إليه التماثل في (أحد) و(الياء والنون) يأخذُ بالأسماع بعيدًا ويقوِّي التعلُّق بالمعاني؛ لأنَّ هذا الأسلوب يقوم على التنسيق والهندسة؛ فالجملة فيه تعادل الجملة، بل الكلمة تقابل الكلمة، والفقرة توازي الفقرة، حتى ليتألف من الكلمات والجُمَل والفقرات لوحة بيانيَّة تتقابل خطوطها، وتتعادل مساحاتها، وتتوازن ألوانها باستخدام ألوان من المحسِّنات ومنها ما يكون لتحقيق التناسق الصوتيّ كالسجع والجناس، ومنها ما يكون لتحقيق التناسق المعنويّ كالمقابلة والطباق [1].

أمَّا العلاقة بين الياء والنون وما وفَّرت من مناخ صوتيّ فيمكن تلمُّسها ونحن نتعرَّف على خواصِّهما؛ إذ جمعت بينهما صفة الخفاء، فمن القدماء من عدَّ الأصوات الخفيَّة أربعة أصوات هي: الهاء، وأصوات المد واللِّين[2]، وقد جاء عندَ بعضِ علماء العربيَّة أنَّ في الهمزةِ خفاءً يسيرًا، وكذلك

(١) ينظر: تطوّر الأدب الحديث في مصر: ٣٩١.

(٢) ينظر: الرعاية: ١٢٧، والتمهيد في علم التجويد: ١٠٣.

النون الساكنة فيها خفاءٌ [١]، وكلاهما غلبت عليهما صفة الضعف على نحو ما ذكر بعض القدماء[٢]، على حين وصفهما المحدثون بالأقوى من جهة الوضوح السمعيّ [٣].

وقد حقَّق الكفعميُّ تناغمًا ملحوظًا في هذين النصَّيْن وما بينهما وهو يوازن ويعادل بين الجُمَل، ويتنقَّل بين الإيضاح والإيهام الذي يتناسب وصوتيّ الياء والنون، وذلك حين يذكرُ واحدًا من اثنين، فما بين حضور أحدهما وغياب الآخر تكون النفس في حال التأمُّل؛ فحين نعرف أنَّ الحرصَ أحدُ الشقاءَيْن، والبخلَ أحدُ الفقرَيْن يجب أن نتعرَّف إلى الشقاء الآخر، والفقر الآخر، وكُلُّ ما ورد في بقيَّة الجُمَل، فحقَّق بذلك هدفَيْن: الأوَّل هو التركيز على الحاضر ومعرفة أهمِّيَّته وتأثيره في النفس الإنسانيَّة، والآخر هو التنبيه والإشارة إلى الغائب، وهذا لا يُلغي أهمِّيَّته، ولكن المؤلِّف جاء بجُمَل على شاكلة واحدة تتآلف فيما بينهما لتحقَّق الغرض المنشود من الكتاب ؛ وهي في أغلبها حكم ومواعظ وردت في الكتب الخاصَّة بذلك [٤].

واعتمادًا على هذه الاعتبارات يمكن أن يتَّضحَ أنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا في

(١) ينظر: الكتاب ٤/ ١٦٤، ١٧٧، ١٨١، والرعاية: ١٢٨، والتمهيد في علم التجويد: ١٠٣، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٧٩.

(٢) ينظر: كفاية المستفيد في علم التجويد، نقلًا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٨٢ – ٢٨٣.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٧ – ٢٨، ٦٣ – ٦٤، وعلم اللغة (مقدّمة للقارئ العربي): ١٦٣، والتشكيل الصوتي: ٣٩، ودراسة الصوت اللغوي: ٣٢، وعلم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية): ٤٧، ومفهوم القوَّة والضعف في أصوات العربية: ٥٧ – ٥٨.

(٤) ينظر: كتاب غرر الحكم ودرر الكلم، ونهج البلاغة، وميزان الحكمة، واللطائف والطرائف، إلى غير ذلك.

الأوصاف منحهـا إيقاعًا متوازنًـا ومناخًا صوتيًّا يُبيِّن للمتلقي جودة السـبك وقوَّة الجذب، ولا سيَّما التكرار الذي لم يقف على النَّص الواحد، فاجتمعت ثـلاث ميزات في أغلـب الجُمَل، وميزتان في البقيَّـة، فالثلاث هي: التعادل، والسجع، والتكرار، والميزتان هما: السجع والتكرار.

ثانيًا: التكرار:

«هـو أن يكـرِّر المتكلِّم اللفظة الواحـدة باللفظ والمعنـى، والمراد بذلك تأكيـد الوصـف أو المدح أو الذَّمِّ أو التهويل أو الوعيـد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاسـتبعاد، أو أيِّ غـرضٍ من الأغراض»[1]، وقد يتكـرَّر الحرف «وتكرار الحـرف يعني تكرار الصوت الذي يحملـه الحرف في كلمةٍ ما»[2]، وكلاهما ورد في كتابنا، وسنأخذ بأطراف الحديث عن كلِّ نوعٍ على حدة.

١. التكرار الصوتيُّ:

ذكرنا أنَّ تكرار الحرف هو تكرار للصوت الذي يحمله، فقد تتكاثف بعض الأصوات في نصٍّ من النصوص دون غيرها، وهذا لا يكون عشـوائيًا؛ لأنَّك تجد المعاني تتقارب فيما بينها وتؤسِّـس لنصٍّ متكاتف البُنى، فهو «ناتج من تكـرار الحروف التي تُعدُّ بمنزلة المادة الرئيسـة التي تُثـري الإيقاع الداخلي للنـص بلونٍ خاص»[3]، من ذلك مجيء صـوت القاف في نصٍّ من نصوص الكتاب بشـكلٍ ملحوظ، وسـنعرض النصَّ على طوله لتتَّضح المسـألة، قال الكفعمـيُّ مخاطبًا النفس: «**فانفقي الفكَّ قبلَ أن يُقسَّـمَ خلفـكِ، وكُفِّي يَدَكِ**

(١) معجم البلاغة العربية: ٥٧٣.

(٢) التكرار الإيقاعي في اللغة العربية: ٦.

(٣) ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنية في شعر الدكتور علي مجيد البديري (بحث): ٥.

السفلى، واجعلي على باب اليمنى قفلًا، فإنَّكِ لنْ تبيتي حتّى تملأي[١] زقَّكِ، ولَنْ تموتي حتى تستكملي رزقكِ، وعلامَ تطلبينَ الرزقَ وهو طالبُكِ، وتستبطئينَ نزولَهُ وهو مُصاحِبُكِ، وتستقبلينَ قادِمَهُ وهو في بلدُكِ، وتنشدينَ ضالَّتَهُ وهو في يدكِ ؟ وعلامَ تهتمينَ لرزقكِ، وقد هيّءَ[٢] لكِ قبلَ خلقكِ. وتطلبينَ رزقًا يعدُو في قفاكِ، ولو قَعدتِ لأتاكِ ما كفاكِ ؟ إن ساعدَ القضاءُ فالسيَّارَةُ كالقاطن، والسائمةُ كالداجن، وإنْ لم يُساعِدْ فالسعيُ جهلٌ والتعبُ فضلٌ إنَّما الرازقُ ضامن والمقدورُ كائن، والقناعةُ سيادة، والمشقّةُ زيادة، فانفقِي ولا تخْشَي الفاقة، وارفِقي ولا تتعبِي الناقة»[٣].

مكن لأيِّ متفحِّصٍ للنص أن يلاحظَ هيمنة الكلمات التي تتضمَّن صوت القاف مقارنةً ببقيَّة الكلمات بين فعلٍ واسمٍ وحرف، وهي على التوالي: (فانفقي، يقسَّم، قفلًا، زقّكِ، رزقكِ، الرزق، تستقبلين، قادمه، لرزقك، قد، قبلَ، خلقكِ، رزقًا، قفاكِ، قعدتِ، القضاء، القاطن، الرازق، المقدور، القناعة، المشقّة، فانفقي، وارفِقي، الناقة)، ولا تخفى أيضًا هذه التشكيلة الهندسيَّة الرائعة والقدرة على صنع متشابهات في الأصول، وللتعرُّف أكثر على هذا النَّصِّ يمكن وضع مجموعة من النتائج العامَّة، ومن ثمَّ تحليلها والوقوف عليها، وهي:

---

(١) الصواب هو (تملَئِي) وفق قواعد الإملاء، فالهمزة المتوسطة تُكتب على كرسي الياء إذا كانت مكسورة مهما كانت حركة الحرف الذي قبلها ؛ لأنَّ الكسرة أقوى الحركات، فهي أقوى من الضمة والفتحة والسكون، ينظر: مرجع الطلاب في الإملاء: ١١٠ – ١١١.

(٢) الصواب (هُيِّئ).

(٣) محاسبة النفس اللوَّامة: ٨٥ – ٨٦.

١. الكلمات التي جاءت بحرف القاف (٢٤) كلمة، حصَّة الأسماء منها (١٧) كلمة، وحصَّة الأفعال هي (٦) أفعال، ومن الحروف حرفٌ واحد.

٢. ابتداء أوَّل جملة في النَّص بالفعل (فانفقي)، وانتهاء آخر جملة بالفعل نفسه.

٣. ورود كلمات ذات أصلٍ واحد، وهو (رَزَقَ) وبصورٍ متعدِّدة، وفي مواضع متنوعة.

أمَّا من ناحية هيمنة القاف فهي مثلما جاء في وصف الخليل (ت ١٧٥ هـ) لكلماتٍ احتوت القاف والعين [١]: «ولولا ما لزِمَهُنَّ من العينِ والقاف ما حَسُنَّ على حال، ولكنَّ العين والقاف لا تدخُلان في بناءٍ إلَّا حَسَّنَتَاهُ؛ لأنَّهما أطلق الحروف وأضخمها جرسًا، فإذا اجتمعا في بناءٍ حَسُنَ البناء؛ لنصاعتهما»[٢]، ومعناه أنَّ القاف تحسِّن من النَّص عندما ترِد فيه؛ لأنَّها ذاتَ جرس واضح، وهذا لأنَّ « قوَّة القاف باستعلائها وتفخيمها وشدَّتها (انفجارها)»[٣]، فهي تحمل صفاتٍ قويَّة تجعلها تنماز بهذا الوصف الذي ذكره الخليل، ويبدو أنَّ هذا ما اعتمده المؤلِّف وهو يكتبُ سطوره.

أمَّا تكرار كلمات مشتقَّات من الأصل (رَزَقَ) وهي: (رزقكِ، الرزق، لرزقكِ، رزقًا، الرازق)؛ فهناك علاقة معنويَّة بينها وبين الإنفاق الذي ورد بصيغة الأمر في بداية النَّصِّ ونهايته، وفيه دلالة على أمرَيْن مهمَّيْن:

أوَّلهما: أنَّ الإنفاق مرهونٌ بزيادة الأرزاق وبالعكس، ومصداقه قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي

(١) من أمثلتها «العَسْجَد والقسطوس والقُداحِس والدُعشوقة والهُدْعة والزُّهزقة...» كما جاء في كتاب العين: ١/ ٥٣.

(٢) العين: ١/ ٥٣.

(٣) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: ٤٣.

﴿كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ولن ينقص من ماله شيء مهما أنفق.

ثانيهما: أنَّ في ذلك تحذير وترغيب؛ فالله تعالى هو الرزَّاق ولا يُخشى الإنفاق وهو الضامن لرزقِ كُلِّ إنسان، وكذلك يحذِّر الإنسان فيما لو لم يُنفِق فسيملك ماله الخلف من ورثته، فليحذر هذه النَّفس أن تُضِلَّهُ، فقد بدأ بالتحذير في البداية، ثمَّ انتقلَ إلى الترغيب؛ لأنَّ النَّفس الوجلة أوَّلًا يمكن ترغيبها ثانيًا.

أمَّا النسج الأخير الذي نود لفت النظر إليه فهو مجيء فعل الإنفاق بصيغة الأمر في البداية والنهاية، ويمكن فهم المسألة أكثر بإيراد الجملتَيْن: «فانْفِقِي الفكَّ قبلَ أن يقسَّم خلفكِ، و«فَانْفِقِي ولا تخشَي الفاقة، فالأولى ترهيب والثانية ترغيب، والتكرار الذي جاء ما هو إلَّا للتأكيد والحثِّ بعد هذا الكمِّ من الجُمَل التي ساقها الكفعميُّ، وهذا أشبه ما يكون بالالتفاف الذي يأخذك بعيدًا ثمَّ يعود من جديد ليبيِّن مقصدَه، فكلُّ النَّصِّ يدور حولَ جذب النَّفس إلى الإنفاق للفوز بما عندَهُ تعالى، والإنفاق هو قطبُ الرَّحى الذي تدورُ حولَه، والرَّحى تمثَّل بالنَّص فيما بينَ الفعلَيْن، وجميع هذه المعاني ترتبط بالبؤرة المركزيَّة التي عبَّر عنها صوت القاف وما أدخله على النَّص من حُسنٍ بما يحمله من جرس واضح استمدَّه من قوَّةِ صفاته.

٢. التكرار اللفظي:

جاء تعريف التكرار بأنَّه إعادة الكلمة باللفظ والمعنى لغرضٍ معيَّن على نحو ما قدَّمنا، وقد توزَّع هذا التكرار بين الكلمات ذات اللفظ الواحد بمعنىً

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

واحـد، وبين الكلمات ذات الجذور الواحـدة بمعانٍ مُتقاربة، وبين الكلمات التي تختلف في حرفٍ واحدٍ فقط وبمعانٍ مختلفة، ولمَّا كان التعريف يشتمل على إعادة الكلمة التي تحمل اللفظ والمعنى نفسه فقد عرضنا لما يخصُّ هذا الوصف فقط.

فمن هذا النوع ما ورد في نصوصٍ متعاقبة من الكتاب جاء المؤلِّف فيها بآياتٍ قرآنيَّـة تبدأ بكلمة (يوم) وتنتهـي كلُّ آيتَيْن أو أكثر بحروفٍ متشـابهة، وكان لهذا الجرد والتنظيم منه أسلوبٌ خاص، ونصُّهُ: « يا نفسُ احذري ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِـيباً السَّـمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾[1]، ﴿يَوْمَ تَرْجُـفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَـالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾[2]، ﴿يَوْمَ نَدْعُـو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[3]... »[4].

وتسـتمر الآيـات في هذا النَّص والـذي بعده، وما بعـده أيضًا حتَّى يصل إلى ستَّةِ نصوص تنتهي بالآيات من قوله تعالى: « ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّـاً لَّا يَتَكَلَّمُـونَ إِلَّا مَـنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَـالَ صَوَاباً ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَـاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾[5]، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابـاً﴾[6]»[7]، ومن الجدير بالذكـر أنَّ المؤلِّف قد يقتطع الآية ابتداءً من كلمة

(١) سورة المزَّمِّل: ١٧ – ١٨.

(٢) سورة المزَّمِّل: ١٤.

(٣) سورة الإسراء: ٧١.

(٤) محاسبة النفس اللوَّامة: ١١٨ – ١١٩.

(٥) سورة النبأ: ٣٨ – ٣٩.

(٦) سورة النبأ: ٤٠.

(٧) محاسبة النفس اللوَّامة: ١٢٢.

(يوم) وليس من بدايتها.

ورد التكرار في القرآن الكريم بكثرة، وكلُّه جاء لغرضٍ مهمٍّ وغاية، وعالمنا استنجد بهذه الآيات ليجعل اللفظة مكرَّرة في نصٍّ واحد، ومنها ما تكرَّر في سورةٍ واحدة، ولا يخفى ما في النصِّ من التذكير والوعيد، الذي تؤكِّدُهُ كلمة (احذري) للنفس الإنسانيَّة، فجلُّ هذه الآيات يتكلَّم عمَّا يجدُهُ الإنسان بعد انتهاء هذه الدُّنيا القصيرة الأمد، ولم يجد المؤلِّف أجمل وأروع من آيات القرآن للتذكير؛ لأنَّها أوقع في النَّفس، وما يرِدْ فيها من كلمات لا يكون إلَّا لقصد، وكلمة (يوم) هنا وتكرارها جاء لقصدٍ أيضًا؛ لأنَّ « التكرير طريق من طرق تأكيد المعنى وتكثيره، وهو علاوةً على ذلك سبيل من سبل المبالغة، وكما أنَّ في زيادة الحرف والحرفَيْن قوَّة للمعنى، فكذلك في زيادة الكلمة والكلمتَيْن أو الجملة، وهذه الزيادة اللفظيَّة تستوجب زيادة معنويَّة، ومن هنا كان التكرار يعني: التقرير والتأكيد والمدح والتهويل والمبالغة»[(١)].

وقد وردت لفظة (آفة) أيضًا في ستَّةِ مواضع في بدايات الجُمَل في نصٍّ واحد من الكتاب في قوله: «**واعلمي: أنَّ آفةَ العقلِ الهوى، وآفةَ النفسِ الولهُ بالدنيا، وآفةَ الطاعةِ العصيان، وآفةَ النعمِ الكفران. وآفةَ الأعمالِ عجزُ العمَّال، وآفةَ الآمالِ حضورُ الآجال**»[(٢)]، وهذه اللفظة تعني: « العاهة، وفي المحكم: عَرَضٌ مُفسِدٌ لما أصابَ من شيءٍ. ويقال: آفةُ الظرفِ الصَّلَف وآفةُ العلمِ النسيان»[(٣)].

(١) التكرار مظاهره وأسراره: ٣٠.

(٢) محاسبة النفس اللوَّامة: ٦٤.

(٣) لسان العرب: ٩/ ١٦، مادَّة (أوف).

وبناءً على هذا المعنى فإنَّ الآفةَ تأكل الشيء وتُفسِدُهُ، وقد أحسن إذ جاء بها في هذه الجُمَل، فلكُلِّ شيءٍ ما يتناقض معه أو يتنافى ؛ فالنسيان لا يجتمع مع العلم وبمرور الأيام سينتهي العلم وينقضي شيئًا فشيئا، فالعقل ينتفي مع وجود الهوى، والنفس تفسد مع التعلُّق بالدنيا، والطاعة تختفي مع المعصية، والنِّعم تضمحلُّ مع الكفران بها، والعمل يتناقص مع عدم العمل به من عامليه، والأمل ينقطع مع حضور الأجل، فلا يغترُّ الإنسان بنفسه، ولينظر إلى هذه النفس الإنسانيَّة، ويروِّضها، وهذا الأسلوب المكرَّر أوقعُ وأشدُّ لأنَّ «عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت [١] بشيء إرادةً لتحقيقه وقُربِ وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كرَّرتهُ توكيدًا وكأنَّها تُقيم تكرارهُ مقام المُقسَم عليه أو الاجتهاد في الدُّعاءِ عليه حيثُ تقصد الدُّعاء»[٢]، ولذلك «لمَّا كان التكرار ذا أثرٍ في مقام التذكير باللّه، والإنابةِ إليه، كان الرسول الكريم إذا حدَّثَ بحديثٍ أعادَهُ على سامعيه ثلاث مرَّات»[٣]، فإذا كان نبيُّنا كذلك فالأولى أن تكون أمَّته أكثر الأمم التزامًا بأقواله وأفعاله وأساليبه الكلاميَّة، وفي ذلك أبعاد دلاليَّة وفنِّيَّة تعضِّد النَّص وتجذب المتلقِّي.

٣. التكرار الطرفي:

وهو مصطلح أطلقه بعض المحدثين لكن في الشعر وليس النثر [٤]، وسُمِّيَ قديمًا بـ(تشابه الأطراف) ويعني «أن يجعل الشاعر قافية بيته الأوَّل

(١) الصواب (أهمَّت) كما يظهر من المعنى.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٩.

(٣) إعجاز القرآن (الإعجاز في دراسات السابقين): ٤١٦.

(٤) الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس: ٢٦٣.

أوَّل البيت الثاني، وقافية الثاني أوَّل الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه»[1]، ولهذا سُمِّي بالطرفيِّ.

وقد أفاد الكفعميُّ من ذلك وسخَّره في نصِّه بأسلوبٍ جميل في النثر، ويمكن أن نعرِّفَهُ بقولنا: «هو أن يجعل المؤلِّف أو الكاتب نهاية الجملة الأولى بداية الجملة الثانية، ونهاية الجملة الثانية بداية الجملة الثالثة، وهكذا إلى انتهاء النَّص أو الكلام، وفي كلا الحالتَيْن (الشعر والنثر) سيختصُّ بالطرفَيْن (النهاية والبداية).

قال الكفعميُّ: «... **ولا ثواب لمن لا عملَ له، ولا عمل لمن لا نيَّة له، ولا نيَّةَ لمن لا علمَ له، ولا علمَ لمن لا بصيرةَ له، ولا بصيرةَ لمن لا فكرةَ له، ولا فكرةَ لمن لا اعتبارَ له، ولا اعتبار لمنْ لا ازدجار له**»[2].

هذا النصُّ فيه ثيمات متعدِّدة تُلقي بكاهلها على المعاني، لتحملَ لنا كمًّا كبيرًا منها، والتكرارات أخذت منحًى آخر، ولا سيَّما إذا أخذنا بالحسبان البداية المتكرِّرة التي تضمَّنت (لا)؛ أي معنى النفي، فهو يقرن تحقُّق الجزء الأوَّل من الجملة بتحقُّق الجزء الثاني، وعلى طول النصِّ، ويأتي بهذا كلِّه في تشكيلٍ هندسيٍّ يمثِّل جسد النصِّ أراد به تجسيد معنى الرجوع بإعادة ما انتهى به في داخل نفسه[3]، وجعلها في سلسلة متوالية تتَّصل ببعضها في معانيها وتجذب بحروفها مخيِّلة القارئ والمتلقِّي، وفيها حبكة تأخذ بطرف الكلام وتدخل حيِّز الفكرة لتبعث لنا بالحلِّ؛ فالإنسان بالمحصِّلة النهائيَّة يجب أن يُقلِعَ عن الذنب حتَّى يزجر نفسه، ويعتبر بذلك ويتفكَّر، وتكون له

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٧/ ١٨١.

(٢) محاسبة النفس اللوَّامة: ٨٠.

(٣) ينظر: الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس: ٢٦٤.

بصيرة تنمُّ عن علم، ولا يكتفي بالعلم من دون نيَّة معقودة في القلب، ومن ثمَّ لن تكفي النيَّة من غيرِ عمل، فبالعمل يُنَال الثواب.

إذن فالإلحاح على بعض المفردات وإيرادها على وفق هذه الصياغة يهيِّئ للمتلقِّي صورة أكثر جلاء، لأنَّ صاحب النَّصِّ (شعر أو نثر) إنَّما يلح في التكرار ليجدَ من يصغي إليه، وعلى عاتق المتلقي نضع هذه المهمة لا ليتخيَّل ما يلح المؤلِّف أو الشاعر على ترديده، وإنَّما ليتخيَّل تشكيل ما يريد طرقه على صعيد الفكرة والصورة، ولا سيَّما إذا كانت هناك فكرة مركزيَّة يعرض فيها نصَّه [١].

٤. التكرار المقطعيّ:

يُعرَّف المقطع بأنَّهُ « وحدة صوتيَّة تتكوَّن من أصوات عدَّة، ولكن يمكن أن تتكوَّن من صوتٍ واحد فقط بشرط أن يكونَ صائتًا، ولكلِّ مقطع نواة تأخذ النبرة المناسبة، وقد يكون المقطع كلمة مثل (قِفْ) أو جزءًا من كلمة تتكوَّن من مقطعين أو أكثر مثل (اجلِسْ). وللمقطع في كُلِّ لغة نظام خاص يحكم عدد وترتيب الصوامت والصوائت [٢] ؛ ففي اللغة العربيَّة، مثلاً، توجد ثلاثة أنواع من المقاطع هي:

١. صامت ثمَّ صائت.

٢. صامت ثمَّ صائت ثمَّ صامت.

٣. صامت ثمَّ صائت ثمَّ صامت ثمَّ صامت.

ويلاحظ أنَّ كل مقطع فيه صائت بسيط أو مركَّب يشكِّل نواة المقطع أو

(١) ينظر: الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس: ٢٦٤.

(٢) الصواب (عدد الصوامت والصوائت وترتيبها).

قمَّة العلو فيه»[١]، والمقصود بالصائت هنا الحركة القصيرة (الضمَّة، الفتحة، الكسرة)، أو الطويلة (الألف، واو المدِّ، ياء المدِّ)، وسُمِّيت طويلة؛ لأنَّها تتكوَّن من حركتَيْن قصيرتَيْن.

ونعني بالتكرار المقطعيِّ تكرار المقطع نفسه لأكثر من مرَّة في نصٍّ واحد، وهو ما جاء في قول الكفعميِّ: «اعزفي عن دنياكِ تُصلحي مثواكِ، واركني إلى الحقِّ وإن خالفَ هواكِ، واجعلي جهدَكِ وهمَّكِ لآخرتكِ، واحفظي بطنكِ وفَرجَكِ فهُما فتنتُكِ، واعفي عن خادمكِ إذا عصاكِ، واضربيهِ إذا عصى مولاكِ»[٢]، إذ يظهر هنا ابتداءً أنَّ النهايات جاءت متشابهة، فجميعها ينتهي بحرف الكاف المكسور، وهو من الأصوات التي غلبت في هذا الكتاب، ولا مناصَ من ذلك ؛ لأنَّها قبل كُلِّ شيء ضميرَ خطاب، والكتاب ما هو إلَّا مخاطبة للنَّفس، فلابُدَّ أن يكون كذلك، وهو الخطاب للمؤنَّث، والحركة والمعنى يدلَّان على ذلك.

ولمَّا كانت دراستنا تتعلَّق بالجانب الصوتيِّ فيجب أن نعلم أنَّ « من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»[٣]، أمَّا صفات هذا الصوت فهو من الأصوات المهموسة[٤]، والشديدة[٥]، والمُنْفَتِحة[٦]،

(١) معجم علم الأصوات: ١٦٠.

(٢) محاسبة النفس اللوَّامة: ٥٣.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤، والأصول في النحو: ٣/ ٤٠٢، وسرُّ صناعة الإعراب: ١/ ٦٠.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤ – ٤٣٥.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٦.

ولكن لن نتناوله بمعزلٍ عن حركته هنا ؛ لأنَّ كلَّ كاف خطاب تنتهي بالحركة، والكسـرة حركة تندرج في ضمن أنواع الحركات وليس الصوامت كالكاف، وبتتبُّع هذا الأمر ستكون جميع النهايات من النوع القصير الذي هو عبارة عن مقطع يبدأ بصامت ثمَّ حركة قصيرة[1]، وكالآتي:

دنياكِ ------- دُنْ + يا + كِ ------ ص ح ص + ص ح ح + ص ح

مثواكِ ------ مَثْ + وَا + كِ ----- ص ح ص + ص ح ح + ص ح

هواكِ ------ هَـ + وَا + كِ ------ ص ح + ص ح ح + ص ح

آخِرَتَكِ ----- ءا + خِ + رَ + تَ + كِ ----- ص ح ح + ص ح + ص ح +ص ح +ص ح

فتنتُـكِ ------ فِـتْ + نَ + تُ + كِ ----- ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح

عصاكِ ----- عَ + صَا + كِ ----- ص ح + ص ح ح + ص ح

مولاكِ ------ مَوْ + لا + كِ ----- ص ح ص + ص ح ح + ص ح

إذن فقد تحقَّق هنا التشـابه والتوازن ؛ فالتشـابه تحقَّقَ في استخدام حرف الـكاف والحركة؛ أي الانتهاء بمقطـعٍ واحد، والتوازن تحقَّـق في الكلمات التـي جـاءت متعادلة في جميع مقاطِعِها، ممَّا أضفى طابعًا أشـدَّ قسـوةً على النَّفـس ؛ لأنَّها في مواجهة خطابيَّة تحملُ أنسـاقًا متشـابهة من ناحية الشـكل واللفظ، وليس هذا فحسـب فإنَّ الانتهاء بالكسـرة يحمل بيـن جنباته إضافة أخرى مع الكاف؛ لأنَّ اسـتعمال كاف الخطاب مسـتقلَّة تصنعُ خطابًا مباشرًا

(١) ينظر: دراسة في علم الأصوات: ٨٩، ٩٣.

يفوق في تأثيره بقيَّة النصوص، والكسرة حدَّدت إضافةً ثالثة لتجعل النفسَ أشدَّ تأثُّرًا، فنكون أمام ثلاثة تأثيرات؛ هي الخطاب بوصفه العامِّ للنفس، ومن ثمَّ الخطاب بوصفه الخاصِّ، ومثَّلتهُ الكاف، ومن ثمَّ الخطاب للنفس بوصفٍ أكثرُ تخصيصًا، وهو ما عبَّرت عنه الكسرة أو الحركة القصيرة.

ثالثًا: الجناس:

يقول علماء البلاغة في تعريف الجناس أو التجنيس: «وحقيقته أن يكون اللفظُ واحدًا والمعنى مختلفًا»[١]، والمشهور في أنواع الجناس أن يكونَ تامًّا أو غيرَ تامٍّ[٢]، والمقصود بالتامِّ: «هو أن تتَّفق الألفاظ في أربعة أمور هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[٣]، فلفظة (الساعة) الأولى معناها يوم القيامة، ولفظة (الساعة) الثانية معناها وحدة قياس الزمن»[٤]، وغير التام «هو أن يختلف اللفظان في أمرٍ واحدٍ من الأمور التي بنت الجناس التامَّ ويتَّفقا في سائرها»[٥].

ونجد لتعريف الجناس بنوعَيْه مصاديق وتحقُّقات رائعة في كتابنا تجذب الانتباه إليها، لكنْ لمَّا كان التعريف العام يتضمَّن التشابه في اللفظ والاختلاف في المعنى آثرنا اختيار الألفاظ التي تصدق على ذلك فقط ؛ من ذلك لفظة (الأبصار) التي وردت في موضعَيْن وبمعنيَيْن مختلفَيْن، وهو ما

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ٢٤١.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٢٦.

(٣) سورة: الروم: ٥٥.

(٤) البلاغة والتطبيق: ٤٥١.

(٥) البلاغة والتطبيق: ٤٥١.

جاء في قول صاحب الكتاب: «**يا نفسُ: استعدِّي ليومٍ تشخصُ فيه الأبصار، وتفدِمُ فيهِ الأبصار**»[١]، جاء عند صاحب اللسان أنَّ « الفَدْم من الناس: العيِيُّ عن الحجَّةِ والكلامِ مع ثِقَلٍ ورخاوةٍ وقلَّةِ فَهْم»[٢]، وبلحاظ ذلك تكون كلمة (الأبصار) الأولى بمعنى (الرؤية البصريَّة)، وكلمة (الأبصار) الثانية بمعنى (الرؤية العقليَّة)، ففضلًا عن امتناع الرؤية البصريَّة لديهم، تمتنع لديهم الرؤية العقليَّة أيضًا؛ أي الفهم والإدراك.

ويبدو أنَّ الكفعميَّ قد أفاد من القرآن الكريم في نصِّه باستعمال هاتَيْن اللفظتَيْن، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ﴾[٣]، فكلمة (الأبصار) الأولى تعني (الرؤية البصريَّة)، وكلمة (الأبصار) الثانية تعني (الرؤية العقليَّة) ؛ لأنَّ ضوء البرق لشدَّته يذهب بنور البصر، والاعتبار يكون للبصيرة، وتأكيد ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾[٤].

والجناس كما يرى عبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ) فيه فضيلة حُسن الإفادة، وليس وجهًا آخرَ للتكرير والإعادة، ولا سيَّما المتَّفق في الصورة أي الشكل [٥]، ومن الصور الأُخر التي نقلها الكفعميُّ قوله: «**ليسَ البرُّ إبانةَ الحروفِ بالإمالةِ والإشباع، لكنِ البرَّ إعانةُ الملهوفِ بالإنالةِ والإشباع**»[٦]،

(١) محاسبة النفس اللوَّامة: ٥٥.

(٢) لسان العرب: ١٢/ ٤٥٠، مادة (فَدِمَ).

(٣) سورة النور: ٤٣- ٤٤.

(٤) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ١/ ١٧.

(٦) محاسبة النفس اللوامة: ٨٥.

فكلمة (الإشباع) وردت مرَّتَيْن، وبمعنى مختلف، ويمكن معرفة ذلك ممَّا عُطِفَت عليه ؛ فالأولى عُطِفَت على الإمالة فهي بمعنى « أن تزيد في الحركة حتَّى تبلغ بها الحرف الذي أُخِذَتْ منهُ»[١]، وفي تعريف آخر هو « أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات»[٢]، والثانية عُطِفَت على الإنالة وتعني الحصول على الشيء المُراد، وبهذا يكون الإشباع هنا بمعنى سدِّ الحاجة، والمراد من هذا المعنى ككُل أنَّ البرَّ ليس بالكلام ومدّ الصوت وكثرة الحديث، وهو تعبير مجازيٌّ، وإنَّما يكون البرُّ في إعانة المحتاج بأن تُعطيه ما يُشبِعُه وتحاول إيصال كلّ ما يحتاجه، وهو معنى غزير ودقيق وجميل.

وهناكَ مصاديق أُخر للجناس لكن سأكتفي بمثالٍ أخير، جاء في كتابنا: «**القطيعة شيمة الشرسِ، والغَمر الذي لَمْ يُجرِّب الأمور، وصلةُ الرحمِ تزيدُ في العمر. وأصدقُ الصداقة طلاقةُ البِشرِ الرَّاشح، وأفضلُ الصدقةِ على ذي الرَّحمِ الكاشح، وخدشُ القطيعة فوق الأرش، والرَّحِم مُعلَّقةٌ بالعرش. من طلبَ الخُلْدَ وشبهه، وخاف السعيرَ وحميمه، فليواصلْ حميمه**»[٣]، وقد أوردتُ الحديثَ من بدايته ليتَّضح المعنى بنحوٍ أدق للقارئ والمتلقِّي، فالكلام هنا في عمومه عن صلة الرَّحم والقطيعة، ونحنُ نعلم أنَّ قاطع الرَّحم ملعونٌ من ربِّ العالمين (جلَّ وعلا)، ومصداقه قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ**

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني: ٥٥٢.

(٢) التمهيد في علم التجويد: ١/ ٥٥.

(٣) محاسبة النفس اللوامة: ٩٥.

﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[1]، وأوصى تعالى بالرَّحِم خيرًا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2]، ثمَّ يبيِّن النَّص أنَّ ذوي القربى أولى بالخير من غيرهم، ومصداقه قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

فلمَّا ارتبط عقاب الله وعذابه بالقطيعة، وارتبط رضا الله وجنَّته بالوصل، جاء الخطاب بصيغة الأمر (فليواصلْ حميمه)، فحميم الأولى مثَّلت نار جهنم، ودليله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[4]، وحميم الثانية عبَّرت عن الأرحام والقربى، ودليله من القرآن الكريم أيضًا من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾[5]، فقد جاء المعنى في تفسير الآية الكريمة: « أي لا يسألُ قريبٌ قريبًا عن أحواله ولا يُكلِّمُهُ لابتلاءِ كُلٍّ منهم بما يُشغِلُهُ عن ذلك»[6].

وبمتابعة الكلمات التي جاءت متجانسة نرى حلاوة المعاني وتناسق الإيقاع ممَّا يبعث في النَّفس التجاذب بين الشعور بالخوف والرغبة، فهي تمُنِّيكَ تارةً وتُرهِبُكَ تارةً أخرى بنسيجٍ متآلف الألفاظ ومتقارب المعاني ؛ فالجناس يتقارب في الأصول، وإن اختلف في المعاني الفرعيَّة.

(١) سورة محمَّد: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأنفال: ٧٥.

(٤) سورة الدخان: ٤٨.

(٥) سورة المعارج: ١٠.

(٦) روح البيان: ١٠/ ١٦٠.

رابعًا: التوازي أو التكافؤ:

يُقصد بالتوازي ذلك التماثل أو التشابه القائم بين طرفَيْن من السلسلة اللغويَّة نفسها، وهذان الطرفان عبارة عن جملتَيْن لهما البنية نفسها؛ أي النسق التركيبيّ نفسه؛ إذ تقع بين هذَين الطرفَيْن علاقة متينة تقوم على أساس المشابهة، أو على أساس من التضاد [٧].

وهو يحملُ في طيَّاته فضلًا عن التكرار في الجملة من جهة تركيبها وبنيتها العامة إضافة بيانيَّة بحتة؛ لأنَّ تكرار المفردات أو تكرار التركيب يُضيفُ تأكيدًا في المعنى، وهو ما يتجلَّى في نصِّ الكفعميِّ الذي مفاده: «**يا نفسُ: أنتِ الَّتي حسَدْتِ، أنتِ الَّتي كنَدْتِ، أنتِ الَّتي حقَدْتِ، أنتِ الَّتي جحدْتِ، أنتِ الَّتي أفسدْتِ، أنتِ الَّتي عاندْتِ، أنتِ الَّتي وشيْتِ، أنتِ الَّتي التويْتِ، أنتِ الَّتي طغيْتِ، أنتِ الَّتي بغيْتِ... أنتِ الَّتي حيَّرْتِ، أنتِ الَّتي قصَّرْتِ، أنتِ الَّتي قنطْتِ، أنتِ الَّتي شطَطْتِ، أنتِ الَّتي أسقطْتِ، أنتِ الَّتي سفهْتِ، أنتِ الَّتي عمهْتِ**»[٨].

هذا النَّصُّ من أطول نصوص الكتاب، ولا يسعني إيرادَهُ كلَّهُ لضيق المقام؛ لأنَّه يتجاوز الصفحتَيْن، وعلى هذه الشاكلة نفسها، وهذا ما يُنبئ بقُدرة المؤلِّف لاستجلاب كل هذه الأفعال، وفي منظومة نغميَّة رائعة، وبنية ثابتة لا يختلف فيها سوى الفعل، الذي جاء بدوره على وزنٍ واحد وبنهاية متَّفقة تكوَّنت من صامت وحركة قصيرة (ص ح)، وتساوى التركيب الذي تكوَّن من:

---

(٧) ينظر: التوازي ولغة الشعر: ٧٩، والتوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم: ٦.

(٨) محاسبة النفس اللوَّامة: ١٠٣ – ١٠٥.

أنتِ + الَّتي + فَعَلْ + تِ

[مبتدأ + خبر (اسم موصول) + صلة الموصول (جملة فعليَّة (فعل وفاعل]

فهذه البنية تكرَّرت (٩١ مرة)، فتخيَّلوا ما يُحدِثُهُ هذا التكرار التركيبي، وما يُلهِمُهُ من التذكير للنَّفس بسوءِ أعمالها، والكمِّ التجميعيِّ لهذه المواصفات لها، فالتوازي خلق إيقاعًا يتساوى فيه الزمن بين كلِّ جملةٍ وأخرى، و«التوازي يسهم في الاتِّساق من خلال استمرار بنية شكليَّة في سطورٍ متعدِّدة، الأمر الذي يهيئ فرصة لتنامي النصِّ بإضافة عناصر جديدة قادرة على إنشاء تيَّار دلاليّ متدفِّق في ذهن المتلقِّي يدفع إلى أن تتفجَّر لديه القدرة على ملء الفراغات التي يخلقها النصُّ، فتتحقَّق بذلك المتعة الجماليَّة المتوخَّاة التي تنمِّي قدرة القارئ على المواصلة في إنتاج الصياغة الدَّلاليَّة للنصِّ»[1].

وعليه فإنَّ استمرار البنية المتشابهة، ومن ثمَّ إحداث فرق تمثَّل بتغيير بسيط في الدلالة أحدثَ خلقًا جديدًا للمعاني يملأ الفراغات، وهي في كل مرَّة تنبثق عنها معانٍ إضافيَّة تترسَّخ في ذهن المتلقِّي حتَّى كأنَّه يردِّد مع نفسه المتشابه منها، ويتلهَّف لقراءة المزيد، وهذا كلُّه يعتمد الذائقة السمعيَّة للمتلقي، والكمَّ المتوازي لنصوص المؤلِّف على وفق إطار صوتيٍّ عامٍّ يراكم كمًّا تموُّجيًّا لقارئ النصِّ.

(١) الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس: ٢٢٧.

الخاتمة

بعد البحث والتقصِّي في هذا السِّفر المبارك بمعيَّةِ أسلوبٍ من أساليب العربيَّة للكشفِ عن جزءٍ يسير من المكنونات التي اشتملَ عليها ممَّا وقفنا عليه في حدود ما فرضه البحث بصفحاته اليسيرة، تمخَّضت لدينا مجموعةٌ من النتائج أبرزُها وأهمُّها:

١. أنَّ أسلوبَ المؤلِّف هو أسلوبٌ خاص في اجتذاب النفوس يتضح عن طريق التشكيلات الموزونة والأسجاع والإيقاعات المتكرِّرة والأجناس، وهذا ما جمع فيه بين الشعرِ والنثر.

٢. قد تطول النصوص أو تقصر تبعًا للمعنى العام أو الفكرة التي يحملها النّصُّ، وقد يتعدَّى المعنى المراد لأكثر من نصٍّ حتَّى لتشعر أنهَّا بمجملها كالنَّص الواحد؛ إذ تجدُ بينها ارتباطًا وثيقًا في الأوصاف يمنحها إيقاعًا متوازنًا ومناخًا صوتيًّا يُبيِّن للمتلقِّي جودة السبك وقوَّة الجذب.

٣. بتتبُّع النهايات في الكتاب نجدها تأخُذُ أبعادًا متنوِّعة ؛ فتارةً تقف الجُمَل في النصِّ على حرفٍ واحد، أو حرفَيْن متشابهَيْن أو أكثر، وتارةً أخرى تنتهي بحروفٍ مختلفة مكرَّرة، لكنَّها ليست ببعيدةٍ عن بعضها من جهة الصفات العامة.

٤. تنوَّع التكرار بوصفه العامِّ وغلب على بقيَّة الأساليب الصوتيَّة؛ لأنَّ أغلب الأساليب الصوتيَّة ما هي إلَّا مكرَّرات، وإن اختلفت المسمَّيات.

٥. أنَّ في زيادة الحرف والحرفَيْن قوَّة للمعنى، فكذلك في زيادة الكلمة والكلمتَيْن أو الجملة، وهذه الزيادة اللفظيَّة تستوجب زيادة معنويَّة، ولذا أورد الكفعميُّ مجموعة من الكلمات المكرَّرة في النصِّ الواحد.

٦. في بعض النصوص نجد ارتباطًا بين البداية والنهاية، وهذا ما يدلُّ على قدرة الكاتب في صنع نوع من الالتفاف يهدفُ به إلى التأكيد على المعاني المرادة، وتذكير النَّفس بها لأهميَّتها في إصلاحها.

٧. كثرة الاقتباسات القرآنيَّة لا تدلُّ على ضعفٍ في الأسلوب، بل إنَّ اقتباساته كانت تخدم المعاني، وهي اقتباسات منظَّمة وتتوافق مع المبنى العام للنصِّ.

٨. هناك مصاديق واضحة لاستعانة الكفعميِّ بالقرآن الكريم في ألفاظه المتجانسة، وهذا يدلُّ على علاقته الوثيقة بالقرآن الكريم من جهة، واستنجاده به لخدمة نصوصه وجعلها أكثر وقعًا وتأثيرًا في النفس من جهةٍ أخرى.

٩. هناك بعض النصوص التي يمكن تناولها في التوازي أو السجع، لأنَّها متعادلة في الوزن ومنتهية بحروف متشابهة، لكن الاختلاف كان في أنَّ التوازي يتضمَّن التعادل في الوزن والنهايات، ولا يُشترط ذلك في السجع.

١٠. التوازي أو التكافؤ يحملُ في طيَّاته فضلًا عن التكرار في الجملة من حيث تركيبها وبنيتها العامة إضافة بيانيَّة بحتة ؛ لأنَّ تكرار المفردات أو تكرار التركيب يُضيفُ تأكيدًا في المعنى.

... والحمدُ لله أوَّلًا وآخرًا...

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: الكتب المطبوعة:

١. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدِّين الدمشقيّ (ت ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، (د. ت).

٢. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣. الأسلوبيَّة الصوتيَّة، الدكتور محمَّد صالح الضالع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤. الأسلوبيَّة الصوتيَّة في شعر أدونيس، الدكتور عادل نذير بيري الحسانيّ، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م.

٥. الأصوات اللغويَّة، الدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، (د.ت).

٦. الأصول في النحو، أبو بكر محمَّد بن سهل بن السَّراج النحويّ البغداديّ (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٧. إعجاز القرآن (الإعجاز في دراسات السابقين)، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٤م.

٨. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حقَّقه وخرَّجه: حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، (د. ت.).

٩. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدِّين الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاؤه، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط ١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

١٠. البلاغة والتطبيق، الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، العراق، ط ٢، ١٩٩٩م.

١١. التشكيل الصوتيّ في اللغة العربيَّة فونولوجيا العربيَّة، الدكتور سلمان حسن العاني، ترجمة الدكتور ياسر الملَّاح، مراجعة الدكتور محمَّد محمود غالي، النادي الأدبيّ الثقافيّ، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط ١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٢. تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد عبد المقصود هيكل، دار المعارف، ط ٦، ١٩٩٤م.

١٣. التعليقة على كتاب سيبويه، أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٤. التكرار الإيقاعيّ في اللغة العربيَّة، الدكتور سيِّد خضر، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، طبع آمون، ط ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٥. التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير محمَّد بن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

١٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم الهاشميّ

(ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصريَّة، بيروت، (د. ت.).

١٧. دار السلام فيما يتعلَّق بالرؤيا والمنام، العالم الجليل الميرزا حسن النوريّ الطبرسيّ (ت ١٣٣٠هـ)، دار البلاغة، بيروت – لبنان، ط ٢، ١٤١٢هـ – ٢٠٠٧م.

١٨. الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد، الدكتور غانم قدُّوري الحمد، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، ط ٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٩. دراسة الصوت اللغوي، الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢٠. دراسة في علم الأصوات، الدكتور حازم عليّ كمال الدِّين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢١. ديوان الإمام علي، جمعه وضبطه وشرحه: الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، (د. ت.).

٢٢. ديوان الشافعي، أبو عبد الله محمَّد بن إدريس الشافعيّ (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمَّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليَّات الأزهريَّة، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٣. الرسائل الأدبيَّة، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣ه.

٢٤. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمَّد مكي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧ه)، تحقيق: الدكتور أحمد حَسَن فرَحات، دار عمّار، عمّان – الأردن، جمعيَّة عمّال المطابع التعاونيَّة، ط ٣، ١٩٩٦م.

٢٥. روح البيان، أبو الفداء إسماعيل حقي الاستنبوليّ (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت، (د. ت.).

٢٦. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، العلَّامة الميرزا محمَّد باقر موسويّ خوانساريّ، نشر اسماعيليان، قم – إيران، ط ١، (د. ت.).

٢٧. سرُّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢٨. سرُّ الفصاحة، أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد الحلبيّ (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلميَّة، ط ١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٢٩. علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربيَّة)، الدكتور بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د. ت.).

٣٠. علم اللغة العام (الأصوات)، الدكتور كمال محمَّد بشر، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٧٥م.

٣١. علم اللغة (مقدّمة للقارئ العربي)، الدكتور محمود السَّعران، دار النهضة العربيَّة للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت.).

٣٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهديّ المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٣. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار

الرفاعي، الرياض، ط ٢، ١٩٨٢م.

٣٤. لسان العرب، أبو الفضل جَمال الدين محمَّد بن مكرم ابن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، (د. ت.).

٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله ضياء الدِّين المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٦. محاسبة النفس اللوَّامة وتنبيه الرُّوح النوَّامة، الشيخ تقيّ الدِّين إبراهيم بن عليّ الكفعميّ (ت:٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسُّون، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٣٧. مرجع الطلَّاب في الإملاء، إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط ٧، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣٨. معجم البلاغة العربيَّة، الدكتور بدوي طبانة، دار المنارة، جدَّة، دار الرفاعي، الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٩. معجم علم الأصوات، الدكتور محمَّد عليّ الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٨م.

٤٠. المعجم المفصل في اللغة والأدب، الدكتور إميل بديع يعقوب، والدكتور ميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٨٧م.

٤١. مفهوم القوَّة والضعف في أصوات العربيَّة، الدكتور محمَّد يحيى سالم الجبوري، منشورات محمَّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٤٢. نظريَّة القوة الإيقاعيَّة في الخطاب اللغوي، الدكتور حازم عليّ كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤٣. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدِّين النويريّ (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعيَّة:

١. التكرار مظاهره وأسراره، عبد الرحمن محمَّد الشهراني، رسالة ماجستير، كليَّة اللغة العربيَّة، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٢. التوازي التركيبيّ الصرفيّ في القرآن الكريم (دراسة في الأساليب النحويَّة)، إنصاف عبد الله الحجايا، كليَّة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠١٦م.

٣. الدرس الصوتيّ عند رضيّ الدِّين الاستراباذيّ (ت ٦٨٨هـ)، حسن عبد الغنيّ محمَّد جواد الأسدي، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، الجامعة المستنصريَّة، ١٩٩٥م.

ثالثًا: البحوث:

١. التوازي ولغة الشعر، محمَّد كنوني، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد ١٨، ١٩٩٩م.

٢. ظاهرة التكرار ودلالاتها الفنيَّة في شعر الدكتور عليّ مجيد البديريّ، الدكتور رسول بلاوي، صحيفة المثقف، استراليا، ٢٠١٨م.